تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

المجلس العلمي الأعلى يصدر فتوى في موضوع الجهاد وضوابطه

ص15

المرحوم فريد الأنصاري يكرم بالجائزة الأولى في تدبر القرآن الكريم

ص13

المحجة

نصف شهرية جامعة

3 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

AlmahajjaJournal | almahajjafes@gmail.com | www.almahajjafes.net

المديرالمسؤول : د. عبد العلي حجيج ■■ 07 صفر 1437 هـ - 19 نونبر 2015م ■■ العدد 446

افتتاحية

الإيمان الصحيح بالله تعالى منظومة أمنية متكاملة

كل يوم تطل فيه شمس إلا ويجد الناس الحاجة شديدة إلى ما يؤمن حياتهم ويحفظ وجودهم، وإنه لمن عظيم النعم على الناس كل الناس أن الله تعالى لم يخلق الإنسان في الأرض إلا بعد أن أرسى الكون على نظام آمن وقوانين ثابتة تأمينا له من أي مهددات، ولم يخلق تعالى الإنسانَ نفسه إلا بعد أن أمن له مصادر الحماية من ذاته (جهاز المناعة)، ومن خارج ذاته. وكان من أمهات التكاليف التكليف بأمانة حفظ الأمن وسبل إقامة العمران على سنن العدل والإحسان في إقامة الدين والقيام بأمانة الاستخلاف التي لا تتحقق إلا بجملة أمور على رأسها:

ـ الأمن الديني بإقامة الدين في حياة الناس إقامة صحيحة علما وعملا وتبليغا: ولا يكون ذلك كذلك إلا بتربية الناس على الإيمان بالله تعالى وإخلاص العبادة له، وتعليمهم دين الله تعالى تعليما صحيحا سالما من الفهوم المنحرفة به عن مقاصده بالتأويل والتعطيل. إذ ما من فتنة ظهرت في تاريخ البشرية إلا ومصدرها فتنتان: فتنة التعطيل التي يتولى كبرها في كل زمان فئة غالت في إنكار الدين وتعطيل شريعة الله تعالى والحيلولة بين العباد ورحمة رب العباد، ثم فتنة التأويل التي حملها طائفة من الناس فغالت في إيمانها غلوا ساقها إلى تأويل الدين تأويلا أخرجه عن مقاصده وآل إلى تعطيله أيضا بصورة من صور التعطيل. فنتج عن كل من التعطيل والتأويل المذموم شرور وبلايا.

- الأمن الاجتماعي ويدخل فيه كل صور الأمن التي لخصها علماؤنا الكرام في حفظ الضروريات الخمس. وتحقيق هذا النوع من الأمن رهين بتحقيق العدل بمفهومه الشامل الحسي والمعنوي بل هو معنى شمولي يدخل تحته كل تصرف لم يخرج إلى أحد طرفي التفريط والإفراط:

- فأول نوع من أنواع العدل وأقواها هو العدل مع الله تعالى بالوفاء بما فرضه سبحانه على عباده من حقوق عبادته عبادة خالصة، وامتثال أوامره ونواهيه التي يرجع نفعها للإنسان نفسه في صلاحه مع بني جنسه ومع كل مخلوقات الله تعالى، حتى إن الله تعالى قرن بين عبادته وأثرها النافع في خلقه جلبا للمصلحة ودفعا للمفسدة؛ صلاة وصوما وزكاة وحجا، إلى حد أنه لا يتصور حق لله إلا وفيه حق للعباد، ولا يوجد تفريط في حق الله تعالى إلا وينتج عنه تفريط في حقوق العباد. ولذلك فالأمن الديني شامل معناه لأمن البشرية، ومقتضى الإيمان أن يكون المؤمن مصدر أمن لأن الله تعالى ما أنزل الوحي إلا ليتحقق الإيمان والأمن في النفوس والواقع. ولا معنى للعدل إلا بتوفير الأمن ولا أمن إلا بتحصيل منافع الناس المادية والمعنوية: أمن غذائي ﴿أطعمهم من جوع﴾ وأمن من المهددات والمخيفات ﴿وآمنهم من خوف﴾، وأمن من الجهل ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾

والعدل كما يكون مطلوبا بين الأفراد يكون مطلوبا بين الأمم والشعوب.

- وثانيها العدل مع بني الإنسان وهو العدل الذي نزل به الوحي منذ آدم، وهو الأمر الذي تدركه الفطر السليمة والعقول الصريحة، ولم يأت فساد في هذا النوع من العدل إلا بعد فساد النوع الأول (العدل مع الله تعالى)، ولم يحصل بغي في تاريخ البشرية إلا بسبب خرق سنة العدل الإلهي والعدول عنها بالإصغاء لصوت الشهوات والأهواء والمصالح الفردية. وإن كل عدول عن العدل الرباني ولو كان جزئيا يولد قابلية لانحراف الطرف المظلوم بنفس القدر.

لذا فتحصين شعوب المسلمين من الظلم بجميع أنواعه - ظلم حقوق الله تعالى من التطاول عليها وظلم حقوق العباد - لازم في البناء والترشيد وهو بمثابة المناعة الطبيعية للجسم.

ولقد أصبحت أمتنا الإسلامية في هذه المرحلة أحوج ما تكون إلى تحقيق منظومة الأمن في بعدها الشمولي حتى تتأهل للخيرية والاستخلاف وقيادة أمم الأرض بالعدل والرحمة، وإن مختلف المشاكل التي تطفو على السطح ستخف ويضعف تأثيرها إن هي عملت بما يلي:

- تربية ناشئتنا على الفهم الصحيح لدين الله تعالى تصورا وتصرفا، ودعوة إليه وإقناعا به، فالأمة محتاجة كثيرا إلى أن يكون أبناؤها مسلمين متمثلين للإسلام عاملين به ممثلين له وداعين إليه، رسلا وسفراء لرسول الله ﷺ يبلغون رحمة الإسلام للعالمين بالحال قبل المقال.

- إعداد ما يلزم لذلك من المؤسسات المعنية بالشأن العام وتأهيلها لإصلاح المواطنين على مقتضى شرع الله تعالى؛ فنظام التربية نظام شمولي أيضا لا يؤتي أكله الطيب إلا إذا أسهمت فيه كل مؤسسات الأمة وفق ثوابتها.

- حماية الأمة من كل الأفكار الدخيلة والفهوم المنحرفة، فلا أمن يرجى داخل جسم إن هو اخترقته المهددات وحرفت وظائفه أو عطلتها، بل الجسم لا يبقى قويا إلا إذا حافظ على مناعته فلا يقبل إلا ما يصلح ولا يفسد، ويقوي ولا يضعف، ويبني ولا يهدم.

- تكوين علماء ربانيين قادرين على ترشيد مسيرة الأمة وحفظ توازنها، وإن كثيرا من صور الخلل تسرب إلى الأمة يوم توقفت الأمة عن إنتاج العلماء الربانيين، وازداد الأمر سوءا يوم بعد يوم.

ألا فالعلماء هم جهاز المناعة في الجسم؟ ألا فالعلماء الربانيون هم حماة بيضة هذه الأمة؟ ألا إن العلماء العاملين هم أطباء النفوس والجوارح والعقول. فمتى نعي مكامن الداء ونعالج مشاكلنا بما صح من الدواء؟!

التوجيه النبوي لحفظ كرامة الأرامل والمساكين

ص 2

مجالس علمية محلية تتدارس :

دور المؤطرة الدينية في توعية المجتمع

ص 9

تداعيات تفجيرات فرنسا على العرب والمسلمين

ص 9

رفض واسع لقرار فرنسة تدريس العلوم في المدرسة المغربية

ص 8

الشرق الأوسط من منظور أمريكي...

ص 14

حمد الله تعالى وذكره: موجبات ومجالات ومقتضيات

د. محمد محترم

قال الله ﷻ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الروم:17، 23)

تقديم:

هذه آيات مباركات من مطلع سورة الروم، وهي سورة مكية بخصائصها وأهدافها، تعالج قضية الإيمان بالله ربا وبرسالته وبمسائل البعث والحساب والجزاء...

جاءت هذه الآيات بعد الحديث عن النبوءة الصادقة الخاصة بظهور الروم على أهل فارس الذين كانت لهم الغلبة سابقا فحز ذلك في قلوب المؤمنين. فالروم كانوا يمثلون راية الدين والإيمان، وفارس يمثلون راية الوثنية والشرك (المجوسية) فكانت هذه الآيات الأولى تتضمن بشارة لأهل الإيمان بغلبة الروم (أهل الكتاب) ونصرهم على أهل فارس الوثنيين، وفي هذا ما فيه من تقرير للحقيقة الكلية الواردة ضمن هذه الآيات نفسها لله الأمر من قبل ومن بعد.

فقضية النصر والهزيمة وظهور الدول وأفولها، وقوتها وضعفها... إنما هو شأن إلهي كسائر ما يقع في هذا الكون من أحداث وأحوال، خاضع للمشيئة والإرادة الإلهية المطلقة، وَفْق الحكمة الإلهية المطلقة. فهو وحده سبحانه صاحب القرار الأول والنهائي، ولا يُقضى شيء في الأرض حتى يُقضى في السماء، وليس للبشر أمام ذلك إلا التسليم والاستسلام لأقدار الله المرسومة، وإرجاع الأمور كلها له سبحانه. ولايعني هذا إعفاؤهم من الأخذ بالأسباب الطبيعية التي قد تترتب عنها النتائج في عالم الشهادة والواقع. فالتوكل في الدين مقيد بالأسباب وتفويض الأمر بعد ذلك إلى الله تعالى وفق القاعدة المشهورة الواردة في حديث رسول الله ﷺ للأعرابي الذي أراد أن يصلي في المسجد ويترك دابته طليقة بغير عقال، قائلا: «توكلت على الله» فقال له: «اعقلها وتوكل على الله»(حديث رواه الترمذي وابن حبان والبيهقي وغيرهم).

بيانٌ عام للآيات:

تبتدئ هذه الآيات المباركات بالدعوة إلى تسبيح الله جل جلاله وحمده، تسبيحا وحمدا يستغرق كل زمان، من إمساء وإصباح وعشي وإظهار، كما يتقصى كل مكان في ملأ آفاق السماوات والأرض، فيدخل في هذا ما هو واجب على العباد من الصلوات الخمس، وما هو مستحب كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وما يقترن بها من النوافل. جاء في نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للأمام البقاعي: (...أي سبحوه بالخضوع له بالصلاة في وقت المساء بصلاة العصر والمغرب، وفي وقت الصباح بالصبح، وفي العشي بالعشاء، وفي الإظهار بالظهر). (ج 610/5 دار الكتب العلمية بيروت).

والأوقات التي اختارها الله سبحانه وتعالى للصلوات المفروضة خاصة هي أفضل الأوقات. قال السعدي: (فالتسبيح والتحميد فيها، أفضل من غيرها، بل العبادة، وإن لم تشتمل على قوله «سبحان الله» فإن الإخلاص فيها تنزيه لله بالفعل أن يكون له شريك في العبادة، أو أن يستحق أحد من الخلق ما يستحقه من الإخلاص والإنابة). (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ص849 مؤسسة الريان بيروت).

بعد هذه الدعوة للارتباط بالله عز وجل والإكثار من ذكره تسبيحا وتحميدا تأتي الآيات التي تعرف بعظمة هذا الخالق وقدرته وحكمته وبديع صنعه في خلقه سبحانه وسعة رحمته وإحسانه، هذا الذي ينبغي أن يشغل ذكره كل لسان و يملأ تسبيحه وحمده كل زمان ومكان:

يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ويحيي الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون.

إنها عملية دائبة لا تكف ولا تتوقف لحظة واحدة. في كل لحظة يخرج حي من ميت ويخرج ميت من حي، كما يخرج النبات الحي من الأرض الميتة والسنبلة من الحبة والشجرة من النواة، ثم تجف النبتة والشجرة حين تستوفي أجلها وتتحول إلى هشيم أو حطام، وقد يختزن هذا حبة جديدة متهيئة للحياة والإنبات وهكذا يحدث في عالم الإنسان والحيوان، النطفة تصير جنينا ثم خلقا كاملا ثم جثة ترمى في الأرض وتختلط بالتربة وتتحول إلى مادة جديدة للحياة وغذاء جديد للنبات، والحيوان والإنسان. إنها دورة دائبة عجيبة لمن يتأملها بالحس الواعي والقلب البصير ويراها على هدى القرآن ونوره المستمد من نور الله. (في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب. ج2763/5 دار الشروق).

فإذا كان هذا الأمر عاديا واقعيا مشاهدا يحدث أمامنا في كل زمان ومكان فلماذا الغرابة من البعث و النشور للحساب والجزاء... ألا يكون حقا وصدقا وكذلك تخرجون. وفي الآية إيماء إلى أن الله تعالى يخرج من غلاة المشركين أفاضل من المؤمنين مثل إخراج خالد بن الوليد من أبيه الوليد بن المغيرة، وإخراج هند بنت عتبة بن ربيعة من أبيها أحد أئمة الكفر... (التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور م 8/ ج21 /68، دار سحنون- تونس).

بعد هذا تشرع الآيات في التذكير والتنبيه ولفت النظر إلى عدد من الآيات الدالة على مدى قدرته تعالى وكمال عظمته، ونفوذ مشيئته وبديع صنعه وتدبيره وسعة رحمته وإحسانه، كيف وأنه المنفرد سبحانه بالربوبية والألوهية في هذا الوجود الممتد ومن آياته أن خلقكم من تراب، ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فالذي خلقكم من هذا الأصل البعيد التراب أو الطين من سلالة من طين ثم بثكم في أقطار الأرض وأرجائها -وهذه معجزة خارقة دالة على كمال القدرة- أليس هو الإله المعبود والرب المحمود والرحيم الودود وهو القادر على أن يعيدكم بالبعث بعد الموت. أليس في هذه النقلة الضخمة من صورة التراب الساكن الزهيد إلى صورة الإنسان المتحرك الجليل القدر فردا وجماعة ما يثير التأمل في صنع الله تعالى ويستجيش الضمير للحمد والتسبيح لله سبحانه، ويحرك القلب لتمجيد الصانع المتفضل الكريم!؟ بلى، و لكن أكثر الناس عن هذه البصائر غافلون.

بعد هذا تأتي آية من آيات الله العجيبة التي قلما ننتبه إليها وذلك في قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾، إنها آية، وما أعظمها من آية، في الاجتماع البشري تدل على كمال قدرته سبحانه ورحمته وحكمته وعنايته بعباده. ومن يقدر غيره جل في علاه على خلق هذين الجنسين الزوجين على هذا النحو الذي يجعل كلا منهما موافقا للآخر ملبيا لحاجاته الفطرية، النفسية والعقلية والجسدية، وتحصل بينهما الراحة والطمأنينة والاستقرار، وتشيع في حياتهما المودة والرحمة، ويتهيأ الظرف المناسب من ائتلافهما وامتزاجهما لإنشاء حياة جديدة، وتربية جيل جديد يشكل استمرارا للوجود البشري إلى ما شاء الله تعالى. ألا تستحق هذه العلاقة الزوجية التي هي قمة في التناسب والتشاكل للقيام بوظيفتها السامية هاته؟!، التأمل والتفكر الذي يثمر الإجلال والتعظيم والإكبار للخالق المبدع، فما أعظم شأنه سبحانه، وما أقبح غفلة هذا الإنسان عن هذا الشأن العظيم.

آية أخرى تبرز بعد هذا دالة أيضا على عظمة سلطان الله جل جلاله وكمال اقتداره، جمعت بين ما هو كوني وما هو بشري على وجه أخص: ومن آياته خلق السماوات والارض و اختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين فماذا نعرف عن هذا الخلق العظيم الضخم الهائل الدقيق، خلق السماوات والارض؟ بل ماذا تمثل هذه الأرض التي نعيش فوقها بدولها وقاراتها أمام هذا الحشد الذي لا يعد ولا يحصى من الأفلاك والمدارات والنجوم والكواكب والسدم والمجرات؟ ألا تكاد تكون مجرد ذرة تافهة لا وزن لها ولا ظل!؟ ومع هذه العظمة والضخامة تسير كل هذه الكائنات في تناسق عجيب دون خلل أو تصادم أو اضطراب.

بعد الإشارة إلى هذه الآية العظمى في خلق السماوات والأرض يأتي التنبيه إلى عجيب صنع الله في بني آدم من حيث اختلاف الألسنة والألوان. فكم هي لغات العالم عبر التاريخ البشري إلى الآن؟ وكم هي ألوان بني آدم؟ وكم هي متباينة صورهم وأصواتهم مع أن أصلهم واحد ومخارج الحروف عندهم واحدة؟

ثم يسوق القرآن الكريم على نفس النمط آية أخرى تجمع بين ما هو كوني وما هو بشري فتربط بين ظاهرة الليل والنهار، وظاهرة الرغبة في تلبية الحاجات الضرورية للبشر في النوم وطلب الرزق. فاقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون الليل ظرفا مناسبا يلبي بسكونه وظلامه الحاجة إلى النوم والراحة، ويكون النهار ظرفا مناسبا يلبي بحركته وضيائه الحاجة إلى ابتغاء رزق الله والسعي من أجله. قال تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ وفي آية أخرى تشبهها: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله لعلكم تشكرون﴾. فلا شك أن بين هذه الظواهر الكونية والظواهر البشرية والاجتماعية علاقة وطيدة، لأنها كلها من خلق الواحد الأحد سبحانه وتدبير الحكيم الخبير. ومهما اكتشف الإنسان من أسرار الكون وتعرف على بعض قوانينه ودقائقه باستعمال أحدث الوسائل وأدقها تبرز أمامه لافتةٌ كُتب عليها: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾. وليس أمام ذوي العلم والفهم والبصيرة إلا أن يقفوا معظمين ومكبرين، خاضعين مستسلمين، مرددين في خشية وخشوع: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين﴾. وأي ظلم أعظم من ظلم العبد لربه وجهله بحقوقه عليه وغفلته عنه مع كونه في قبضته سبحانه ولا غنى للعبد عنه بأي وجه من الوجوه.

فهل بعد تدبر مثل هذه الآيات المبصرات في هذا الكتاب المسطور، والتفكر فيما تنبه إليه من الحقائق الكونية والظواهر البشرية المعيشة في هذا الواقع المنظور، يحق لعبد أن يفتر لسانه عن التسبيح والتحميد والتمجيد للباري عز وجل؟

ومضات من الهدى المنهاجي في الآيات:

الزمان والمكان وعاءان للتسبيح والتحميد فاحرص أن تملأهما بذلك. فمما يروى عن الحسن البصري قوله:«ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة».

لن تتقرب إلى الله عز وجل بأفضل من الفرائض فحافظ عليها :«من صلى البردين دخل الجنة»(رواه الشيخان).وفي حديث «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» يعني الفجر والعصر. (رواه مسلم وأحمد وغيرهما).

واجتهد ما استطعت في النوافل لتكسب محبة الله «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...»(من حديث رواه البخاري).

الحياة الحقيقية حياة القلوب والأرواح لا حياة الأجساد والأشباح فاجتهد على إحياء قلبك وروحك بذكر الله جل جلاله. «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت» (رواه البخاري).

العلاقة الزوجية من آيات الله تعالى فلا يمكن أن يسعد بيت وتعمه السكينة والمودة والرحمة إلا بالاجتماع على طاعة الله وأن يكون عامرا وحيا بذكر الله. ففي رواية لمسلم :«مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت». وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:«اجْعَلوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا». (متفق عليه). ولايخفى منهم سكان القبور.

مما يغفل عنه كثيرا على أهميته في ذكر الله الأدعية المأثورة، الواردة عن رسول الله ﷺ في بعض الأعمال والأوقات كأدعية الأكل والشرب والنوم واللباس ودخول المسجد والبيت وغير ذلك؛ فاحرص عليها، وعوِّد أهل بيتك عليها في حينها.

إن خلق السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان معجزات حقا نعيشها في كل لحظة، دالة على عظمة الخالق وبديع صنعه في خلقه، فحذاري أن يتبلد حسك بطول الألفة والتكرار. الكون مدرسة لتعلم الإيمان فلا تلق نظرتك عبثا؛ بل حاول أن تستخلص من كل شيء فكرة وعبرة تقربك إلى الله الجليل الرحيم فرب «تفكر ساعة (في وعي) خير من عبادة كذا وكذا (في غفلة)».

نومك يا أخي بالليل للراحة، وحركتك بالنهار لأجل الرزق من آيات الله اللطيف الخبير أيضا، فحاول أن يكون ذلك في طاعة الله عز وجل ووفق ما شرعه الله سبحانه، وأخلص نيتك لربك كي تؤجر على نومك ويقظتك. قال بعض العارفين: (إني لأحتسب على الله نومتي كما أحتسب عليه قومتي).

الكون كله من أصغر شيء فيه إلى أكبره، من الذرة الى المجرة، يسبح بحمد خالقه ومدبر شأنه، فلاتكن أنت يا أخي نشازا في نظامه.

ما طلب منا الإكثار من شيء مثل طلب الإكثار من الذكر لمنزلته وفضله عند الله «واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون» (الجمعة، 10). وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «سبق المفردون»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» (رواه مسلم).

هذه أيها الأخ الفاضل آيات محفزات ومرغبات في أن يكون لسانك رطبا بذكر الله العزيز الغفور؛ فإذا لم تتأثر نفسك بمثل هذا وأبت إلا الخمول والركون إلى الدنيا والرضى بعيش الغفلة، فاحذر أن تكون ممن ورد فيهم ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (طه / 122، 123، 124).

والله ولي التوفيق

التوجيه النبوي لحفظ كرامة الأرامل والمساكين في المجتمع الإسلامي

ذ.محمد البخاري

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله -وأحسبه قال- وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر»(1).

هذا الحديث يؤسس لمبدأ حفظ كرامة الإنسان المسلم المحتاج بصفة عامة، ويدافع عن حق الأرملة والمسكين في الحصول على العيش الكريم بصفة خاصة؛ وذلك بهدف خلق توازن اجتماعي قائم على الرحمة والتضامن بين أفراد الأمة الإسلامية. وسنقف مع هذا الحديث لنستنير بإرشاداته وتوجيهاته من خلال النقط التالية:

1 - مفاهيم الحديث ومضامينه.

الساعي: السعي في اللغة يفيد بذل الجهد في العمل لتحصيل الكسب من الطعام وغيره(2).

الأرملة: المرأة التي لا زوج لها لافتقارها إلى من ينفق عليها. قال ابن الأنباري: الأرملة: التي مات عنها زوجها، سميت أرملة لذهاب زادها، وفقدها كاسبها، ومن كان عيشها صالحا به (3).

المسكين: من سكن المتحرك سكونا ذهبت حركته، والمسكين مأخوذ من هذا لسكونه إلى الناس. فالمسكين هو الذي لا شيء له (4).

ومن المضامين التي يمكن استفادتها من الحديث:

- ترغيب الرسول ﷺ، في الإنفاق على الفئة المعوزة كالأرامل والمساكين لتحقيق تماسك المجتمع الإسلامي.

- حث الرسول ﷺ المسلمين عامة، وأولياء الأمور خاصة، على إحداث آليات التوازن في الإنفاق بين الفئات الاجتماعية داخل الأمة الإسلامية.

- نوَّع الإسلام وسائل التحفيز على أعمال الخير وبين أجرها ومكانتها عند الله تعالى؛ لضمان التكافل بين أفراد الأمة المسلمة.

2 - السعي بالخير على المحتاج تحقيق لمعنى العبودية لله.

لاشك أن الأفراد الذين ذكروا في الحديث هم فئة محتاجة داخل الهرم الاجتماعي؛ فالأرملة فقدت من يعولها فهي محتاجة إلى سند تركن إليه، والمسكين محتاج إلى من يمد إليه يد المساعدة ليتغلب على متطلبات الحياة وإكراهاتها. فهؤلاء قلما يلتفت الإنسان إلى ضعفهم؛ لهذا جعل الرسول ﷺ أجر من يساعدهم عظيما يوازي أجر المجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، أو أجر قائم الليل كله للصلاة دون توقف، وهذا من صفة المتقين قال تعالى:﴿إنَّ المتَّقين في جنَّات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنَّهم كانوا قَليلا من الليل ما يهجعون﴾(الذاريات: 15-17). أو أجر الصائم الذي قال فيه الرسول ﷺ: «من صام يوما في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا»(5).

وقال رسول الله ﷺ:«الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي القربى ثنتان: صدقة وصلة»(6).

فالأجر عظيم، والثواب كثير، وإقبال الناس عليه قليل، إنه ضعف الإيمان، وقلة حسن التوكل على الله، والتعلق بحب الدنيا الفانية، وقد أخبر الرسول ﷺ بهذا فقال:«فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»(7).

وفي واقعنا نجد الناس في تعاملهم مع هذه الفئة ثلاثة أصناف:

- **الصنف الأول:** يتخذ الاهتمام بهم والاعتناء بمطالبهم مطية للتفاخر وإظهار الكرم كي يشكر عند الناس ويذكر بالخير، فإذا لم يُقدَّم له ذلك وخاصة ممن يساعدهم غضب وتوقف عن المساعدة. وقد غضب أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أحد الصحابة الذي كان ينفق عليه، يقال له مسْطَح، لأنه تكلم في حادثة الإفك، فحلف أبو بكر ألا ينفق عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾(النور:21). فعاد إلى الإنفاق عليه. وهذا باب واسع للرياء والسمعة يقع فيه الكثير من الناس. روي أنه مر على النبي ﷺ رجلٌ، فقال الصحابة يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال ﷺ : «إن كان خرجَ يسعى على وَلَدِه صغارًا، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يَسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه، يَعُفُها، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومُفاخرة، فهو في سبيل الشيطان»(8).

- **الصنف الثاني:** يساعدهم قليلا ويستغلهم كثيرا؛ فيعطهم ما فضل عليه من الطعام واللباس، ويفرض عليهم مقابل ذلك القيام بأعمال شاقة، أو أعمال دنيئة أحيانا كلما احتاج إليهم أو إلى أولادهم، فإذا لم يلبوا مطالبه توقف عن المساعدة، بل ربما عاقبهم على ذلك. وهذا استغلال وظلم، والله لا يحب الظالمين فهذا الصنف جعل ضعفهم وسيلة لتحقيق أهدافه الخبيثة.

- **الصنف الثالث:** هدفه ابتغاء وجه الله؛ وهو الذي يستحق الأجر الذي ذكر في الحديث؛ أي أجر الجهاد في سبيل الله، أو أجر قائم الليل للصلاة والتضرع إلى الله، أو أجر الصائم الذي لا يفطر، قال الله تعالى في حديث قدسي «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»(9).

إن حديث الساعي على الأرملة؛ يحقق مقصدا أصليا هو الفوز بالجنة، ومقصدا تبعيا دنيويا هو تحقيق التوازن والتماسك بين جميع طبقات المجتمع الإسلامي؛ فيكون كالجسد الواحد يرحم فيه الغني الفقير، ويحب الفقير الغني، فيعيش المجتمع في كون أرضه محبة وسماؤه رحمة. بهذا المنهج وبهذا السلوك تعمنا جميعا رحمة الله، قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(10).

3 - الوسائل الشرعية لحفظ كرامة الأرامل والمساكين.

من المتفق عليه؛ أن الإسلام دين الحلول العملية التي يسهل تطبيقها في واقع الناس وفق مبادئ العدل والإحسان، لذلك أمر الله تعالى بإعطاء كل ذي حق حقه من الميراث قويا كان أو ضعيفا، ذكرا أو أنثى، صغيرا أو كبيرا، قال تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾(النساء: 6). لكن في واقعنا غالبا ما تحرم الفئة الضعيفة من الأرامل والمساكن ومن هو على شاكلتهم من الميراث، فتصبح عرضة للضياع. وقد حرم الله تعالى أكل أموال الناس بالباطل، واعتبر مصير آكله جهنم والعياذ بالله.

ولحفظ حقوق هؤلاء؛ يجب على الدولة أن تضع هيئة خاصة لحمايتهم، فتسهر على تقسيم تركتهم وتضمن وصول حقوقهم إليهم؛ إذ ربما يعجزون أو يخافون من الوصول إلى القضاء لرفع مظالمهم والدفاع عن حقهم، فضمان حصول هذه الفئة على ميراثها، وسيلة شرعية لحفظ كرامتها دون الحاجة إلى مساعدة مادية من أحد.

ومن الوسائل الشرعية أيضا لحفظ كرامتهم، تفعيل بيت مال المسلمين وتطوير مؤسسة الزكاة وتوظيفهما لصالحهم، فيأخذ الضعيف منهم ما يستحقه مما يضمن له حقه في العيش الكريم، كتوفير السكن اللائق، والتعليم الجيد، والحق في العلاج، للعاجز منهم عن العمل، وخلق فرص الشغل للقادرين منهم على العمل، فيشعرون بعزة الإسلام ونصرته لأنه أخذ بيدهم في وقت الشدة، وساعدهم على النهوض حين أوشكوا على السقوط، قال رسول الله ﷺ : «أنا أَولى بكل مؤمن من نفسه؛ من ترك مالاً فلأَهله، ومن ترك دينا أو ضياعًا فإليّ وعليّ»(11).

ومعنى هذا أن من ترك عيالا أو دينًا وليس له وفاء، فإن وفاء دَينِه وكفالة عياله مِن بيت مال المسلمين.

لكن للأسف الشديد؛ أين نحن من هذا كله؟ والذي يستفيد من الثروات في الدول الإسلامية طبقة قوية متحكمة في رقاب البلاد والعباد، تأكل أموال الناس بالباطل، وتعتبر أخذ حقهم مساعدة اجتماعية يضمنها صندوق التضامن، أو صندوق التكافل، أو غيرها من المسميات. مع أن الأصل يجب أن يكون لهم مبلغ مادي قار، وخدمات اجتماعية إلزامية توفرها لهم الدولة؛ لأنهم مسلمون ينتمون إلى الإسلام. قال تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾(النساء:58). وقال ﷺ: «ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته..»(12).

فالثروات يجب أن توزع بشكل عادل يستفيد منها كل أبناء الأمة الإسلامية دون تفضل من أحد.

بل الإسلام صان كرامة المساكين من غير المسلمين أيضا؛ فقد كتب خالد بن الوليد في عهد الصديق رضي الله عنه في وثيقة الصلح مع أهل الحيرة: وجعلت لهم أيُّما شيخ ضعُف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر حتى صار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وَعِيلَ من بيت مال المسلمين، وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام (13).

كما أن عمر رضي الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل وهو شيخ ضرير، فقال له عمر: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي. فقال: ما الذي ألجأك إلى ما أرى؟ فقال الرجل: أسأل الجزية، والحاجةَ والسنَّ، فأَخذ عمر بيده ، وذهب إلى منزله فأعطاه شيئا من المال، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وطلب إليه أن يُجريَ عليه رزقاً مستمراً من بيت المال، وقال للخازن: انظر إلى هذا وأمثاله، فو الله ما أنصفنا إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم. وأسقط عنه الجزية وعن أمثاله (14).

لأن الإسلام يأبى أن تحط كرامة الإنسان أو تهان، إذا كان تحت وصايته وحكمه وإن كان من غير المسلمين. وقد روي أن رسول الله ﷺ، كان: «لا يأنف أن يمشي مع الأرملة، والمسكين فيقضي له الحاجة»(15).

هذا نهج نبينا، ومبادئ ديننا، كل منهما قائم على الرحمة وحفظ كرامة الإنسان.

---

1 - صحيح مسلم، 2982/صحيح البخاري، 6007.
2 - لسان العرب، مادة سعا.
3 - تاج العروس، مادة رمل.
4 - المصباح المنير، مادة سكن.
5 - مسلم، 1153.
6 - النسائي، 2582.
7 - البخاري،4015.
8 - المعجم الكبير. 282.
9 - البخاري، 5927.
10 - الترمذي، 1924.
11 - مسلم 867.
12 - مسلم،1829.
13 - الخراج لأبي يوسف، ص: 157.
14 - الخراج؛ لأبي يوسف، ص: 159.
15 - النسائي، 1414.

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الالكتروني: www.almahajjafes.net
البريد الالكتروني: almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة: حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف: 0535931113
الناسوخ: 0535944454
الإيداع القانوني: 1994-61
رقم الصحافة: 91/11
الترقيم الدولي: 3627-1113
الطبع: إكوبرانت
التوزيع: سابريس

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحجر

د. يوسف العلوي

قال بن إسحاق: فلما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها، وإنما كانت رضما فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطي نجار، فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحه.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا، لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس. والناس ينحلون هذا الكلام للوليد بن المغيرة .

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم، وكان شق الحجر لبني عبد الدار ولبني أسد ولبني عدي.

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدأكم في هدمها، فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم نرغ -اللهم إنا لا نريد إلا الخير-. ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله صنعنا فهدمنا. فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس، أساس إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها بعضا.

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض من يروي الحديث أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس.

قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوزوا وتحالفوا وأعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا لعقة الدم.

فمكثت قريش أربع ليال أو خمسا ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا.

فزعم بعض أهل الرواية: أن أبا أمية بن المغيرة -وكان آنئذ أسن قريش كلها- قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا، فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال ﷺ: هلم إلي ثوبا فأتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بني عليه.

(السيرة النبوية لابن هشام، بتصرف).

الإعداد الرباني لمحمد بن عبد الله ﷺ لاستقبال الرسالة الخاتمة الشاملة قد أشرف على تمامه، فلم يبق على رحمة العالم ببعثته إلا خمس سنين، وحديث بنيان الكعبة أو تجديد بنيانها بالأحرى، يبرز صورة من نتائج هذا الإعداد المتمثل في الشخصية القيادية التي أصبح يتمتع بها محمد ﷺ في الوسط القرشي خاصة والعربي عامة، فإن إعادة بنيان الكعبة لا يهم قريشا وحدها بل سائر العرب وطريقة حله ﷺ للإشكال الذي كاد يصبح فتنة تتحول إلى حرب أهلية بين قبائل قريش تأكل الأخضر واليابس، وتستعر نارها أكثر من حرب البسوس، ويهلك فيها من خلق الله أكثر مما هلك في حرب داحس والغبراء، تبين بجلاء همة المصطفى ﷺ، ونبوغه في تدبير الأزمات، وإبداعه في اقتراح الحلول وتفوق شخصيته الجامعة.

وبالرجوع إلى النص نتلمس الآتي:

أولا:

إن الله تعالى اقتضت تدبيراته -وهو سبحانه الحكيم العليم- أن يجعل الكعبة المشرفة بيت الله في الأرض، وأول بيت وضع للناس ليعبدوا رب الناس، ثم أمر الخليل والذبيح برفع قواعده وتشييد بنيانه وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود.

وجعله مهوى الأفئدة، وسخر له من يخدمه ويجله عبر تاريخه الطويل من أهل التوحيد وغيرهم، وجعله مثابة للناس وأمنا وهدى، نعم إن البيت العتيق هو الهدى الجغرافي لله تعالى في الأرض، والقرآن هو هدى الله المنهاجي، ومحمد بن عبد الله هو هدى الله البشري.

ولنتدبر قول الله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾(آل عمران 96-95).

نعم "وضع للناس" كل الناس وهو "هدى للعالمين" كل أهل الأرض، فهل يفهم المسلمون خاصة والناس عامة قيمة هذه المعلمة التي جعلها الله تعالى مثابة وأمنا وهدى وحرما، وأمر بتطهيرها وتعظيمها...

وانظر كيف حرمها الله على الجبابرة والطغاة من أن ينالوها بسوء تحريما قدريا، فسلط الطير الأبابيل على أبرهة الأشرم لما عجز أهلها عن حمايتها، وقال كبيرهم عبد المطلب في يقين "إن للبيت ربا يحميه"

وتأمل غيرة المولى على بيته كيف ألهم قريشا أن يجددوا بناءه، وكيف نبه سيدا من ساداتهم أن يقترح عليهم أن لا ينفقوا في بنائها إلا ما طاب من أموالهم، فإن الله تعالى "طيب لا يقبل إلا طيبا"، دائما وأبدا، وحتى إن البيت حوله ثلاث مائة وستون صنما، وعماره أهل شرك ومنكرات، ومع ذلك يأبى الله تعالى إلا أن يبنى بيته من طيب المكاسب، فسبحان القادر على كل شيء.

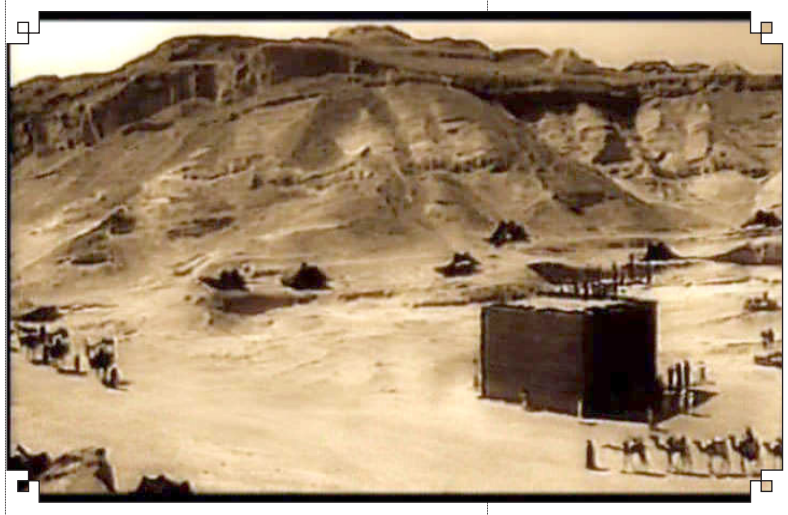

ثانيا:

أهمية الكعبة لدى قريش: إن الله تعالى اصطفى قريشا ليكونوا عمار بيته، فبعد أن أسكن الذبيح إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام، وساق إليهم قبيلة جُرْهم التي صارت لها خدمة البيت، ثم دخلت بعد ذلك في صراع طويل مع قبيلة خزاعة التي أجلت جرهم عن خدمة مكة وتولت سدانة الكعبة، إلى أن استردتها قريش زمن قصي بن كلاب أكبر زعماء قريش في الجاهلية الذي طرد خزاعة وتولى سدانة البيت العتيق، وأسكن قريشا حوله، فشرفوا بخدمته حتى صاروا سادة العرب وأشرف شرفائها بلا منازع.

ولمعرفتهم بقيمة هذا البيت وكونه السبب في علو منزلتهم، وإقبال الناس عليهم، تنافسوا في تعظيمه وخدمته، فتراهم -حسب هذا النص- يجددون بنيانه بما يحفظه من الابتذال، ويزيده مهابة، ولا يتجرؤون على نبش حجارته أو حفر ترابه خوفا من انتقام ربه ومولاه سبحانه، إلى أن يغامر أحد زعمائهم فيضرب بمعوله وجلا وهو يقول: "اللهم لم نرغ، اللهم لا نريد إلا الخير" ، فهو يعلم كما يعلم العرب أن من حاول مسه بسوء انتقم الله منه، وما حديث أبرهة منهم ببعيد.

وعلى الرغم من أن الوليد بن المغيرة لم يصب بسوء وهو يهدم سور الحرم، إلا أن قريشا تربصوا به ليلة كاملة، إلى أن اطمأنوا عندما رأوه في الصباح الثاني غاديا بمعوله فعلموا أنها إشارة من الله تعالى أنه رضي فعلهم فغدوا مشمرين لنقض ما بقي من بنائه ليعيدوه مرة أخرى.

ويجدر الانتباه إلى أن الأشراف هم من تولوا الحفر والبناء، وقد كان لهم عبيد كثر يمكنهم أن يقوموا بالأمر دونهم، ولكن خدمة البيت الحرام شرف لا يؤثر به أحد أحدا.زاده الله تعالى تعظيما وتشريفا ومهابة.

فترى الشريف منهم يحمل الحجارة على عاتقه ولا ينأى بنفسه عن الغبار وهو في غاية السرور، لا يرى نفسه في موطن أشرف من هذا، ولا غرو فقد كلف الله تعالى في البدء أشرف خلقه الخليل والذبيح عليهما السلام بإقامة قواعده وتنظيفه وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود، ومنذئذ كان خدمة البيت شرفا تشرئب إليه أعناق المسلمين، ومايلقاها إلا الذين شرفوا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

ثالثا:

ومن عجيب صنع الله تعالى وإكرامه لبيته أن يلهم قريشا ولا يدخلون في نفقة بنيانه من كسبهم إلا طيبا، فلا يدخلون في بنيانه "مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس"، ويفهم من هذا أن قريشا في الجاهلية كانت تفرق بين الكسب الطيب والكسب الخبيث، ربما ذلك من بقايا دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وربما لأن الفطرة السليمة والنفوس الشريفة تستطيع أن تميز بين الطيب والخبيث.

لكن عندما بعث فيهم الطيب يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث كذبوه وحاربوه !

ولا عجب، فالكسب الطيب عزيز، لذا قصرت بقريش النفقة فلم يستطيعوا أن يعيدوا بناء البيت على قواعد إبراهيم وإسماعيل، بل نقصوا منه من جهة الحجر. ألا ما أعظم بركة الكسب الحلال: رجلان فقط هما إبراهيم وإسماعيل أقاما البيت العتيق تاما كاملا من كسبهما الحلال، وكل قبائل قريش لم يستطيعوا إتمام بنيانه من كسبهم "الحلال" ،لا شك أن الكسب الحلال كان نادرا آنذاك، (وهو اليوم أندر).

إن الأمين المختار الذي صنع على عين الله تعالى طيلة خمس وثلاثين سنة استطاع حل الإشكال باقتراح منصف للجميع دون تمهل ولا تأخر، فقد فكر بسرعة وقرر بسرعة واقترح برفق وأقنع بعدل وحل المشكل من أساسه

ألا ما أعظم بركة الكسب الحلال: رجلان فقط هما إبراهيم وإسماعيل أقاما البيت العتيق تاما كاملا من كسبهما الحلال، وكل قبائل قريش لم يستطيعوا إتمام بنيانه من كسبهم "الحلال" ،لا شك أن الكسب الحلال كان نادرا آنذاك،(وهواليوم أندر).

رابعا:

استعملت قريش في إعادة بنيان الكعبة خشبا من حطام سفينة لتاجر رومي ألقى بها البحر على ساحل جدة، واستعانت بنجار قبطي !

كأنه لا وجود لنجارين مهرة من قريش وما حولها من قبائل العرب، ولا وجود لخشب يؤخذ من جذوع النخل وغيره من أشجار الجزيرة !

ولولا أن الله تعالى سخر البحر لإلقاء خشب هذه السفينة الرومية وساق هذا النجار القبطي المصري، ربما لم يتهيأ لقريش ما تبني به بيت الله تعالى ومحل عزها ومجدها.

فإلى متى تظل الأمة في حاجة إلى غيرها في الضروري وغير الضروري من شأنها؟

خامسا:

نزاع الملإ من قريش على وضع الحجر

السجود لله تعالى فضائل وآثار

ذ. الوزاني برداعي

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد:

السجود هو أعظم مراتب الخضوع وأحسن درجات الخشوع، السجود أعلى مقامات الاستكانة وأحق مراتب الطمأنينة، في السجود يتمكن العبد من القرب إلى الله تعالى وتلقى أنوار رحمة الله ومعاطف كرم سيده ومولاه.

إن السجود يستوجب استحضار عظمة الله ﷻ، إضافة إلى ما يحضر حالة القيام والركوع، يخر العبد ساجداً ويمكن أعز أعضائه وهو الوجه من الأرض، وذلك أجلب للخشوع وأدل على الذل والخضوع.

لقد أمر الله ﷻ الملائكة بالسجود لآدم، فكان سجودهم امتثالاً لأمر ربهم، وعبادة وطاعة لخالقهم، وتكريماً لآدم عليه السلام، تنفيذاً لأمر معبودهم.

أما إبليس فقد امتنع عن السجود، فقال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾، وبذلك عارض النص برأيه وقياسه الفاسد، معتقداً أن النار خير من الطين، وأن الفاضل لا يسجد للمفضول.

والحقيقة أن التراب يفوق النار في أكثر الصفات، فإن من صفات النار طلب العلو والخفة والطيش والرعونة، و من صفات النار إفساد ما تصل إليه ومحقه وإهلاكه وإحراقه، وأما التراب فمن صفاته الثبات والسكون والرصانة، والتواضع والخضوع والخشوع والتذلل، وما دنا منه ينبت ويزكو، ويبارك الله فيه.

فإبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وآدم تاب واستكان، وانقاد واستسلم وكان من المستغفرين.

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إبليس أبلسه الله من الخير كله وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته».

وقال العماد ابن كثير: «فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله: أي أيسه من الخير كله وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته».

ترك إبليس السجود فأبلس من الرحمة: أي أويس من الرحمة فأبعده الله ﷻ وأرغم أنفه وطرده من باب رحمته ومحل أنسه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويلاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار). (أخرجه الإمام مسلم).

لقد شرع الله ﷻ السجود للدعاء والتضرع، والتكلم بكل ما في النفس مناجية ربها خاضعة خاشعة، شرع الله ﷻ السجود ليلتجئ فيه العبد إلى ربه في حالات الغم والهم والضيق والجزع، فتفويض الأمر لله سبحانه هو الحل لجميع الأمور والمشكلات، والأمراض والمعضلات، و حري بالعبد أن يقدم شكواه ويسأل حاجته ويلتجئ إلى مولاه في مقام عظيم، مقام السجود.

كشفت بعض الدراسات التي أجريت في مركز تكنولوجيا الإشعاع، أن السجود لله تعالى يخلص الإنسان من الآلام الجسدية والتوتر النفسي وغير ذلك من الأمراض العصبية والعضوية... واكتشف علماء متخصصون في العلوم البيولوجية، أن السجود يقلل من الإرهاق والتوتر والصداع والعصبية والغضب، فسبحان الذي قال في محكم التنزيل:﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾.

الخطبة الثانية:

الحمد لله:

السجود عبادة للرب الخالق، لا ينبغي أن يسجد لأحد سواه مهما كانت مكانته أو ارتفعت درجته. لقد أمر الله ﷻ رسوله بالسجود فقال: ﴿واسجد واقترب﴾ وأمر سبحانه عباده بالسجود ومدح سبحانه الساجدين في أكثر من آية. فعن أبي هُريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسُول اللَّه ﷺ قَالَ: ﴿أَقْرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ﴾. (أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد وابن حبان والبيهقي).

قال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم: «معناه أَقرَب ما يكُون مِنْ رحمة ربّه وَفَضله. وفي هذا الحديث الحثُّ على الدُّعاء في السجود. وفيه دليل لمن يقول إن السجود أَفضل من القيام وسائر أركان الصّلاة.

إن لحظات السجود لحظاتٌ فريدةٌ في حياة الإنسانِ، ذلك أنه يكونُ في مقامِ القرب من الرب ﷻ.

وللسجود فضل عظيم وهو من أحب الأعمال إلى الله تَعَالى، عَنْ معدان بن أبي طلحة رضي الله عنه قال، لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلى رسولَ الله ﷺ، فقلت: أَخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أَو قال قلت: أَخبرْني بأَحبِّ الأَعمال إلى الله فسكت، ثُمَّ سأَلتُه فسكت، ثُمَّ سأَلته الثَّالثة فقال: سأَلْتُ عن ذلك النَّبي ﷺ فقال: (عليك بكثرة السُّجود، فإِنَّك لا تسجدُ لله سجدةً إِلاَّ رفعك الله بها درجةً، وحَطَّ عنك بها خَطيئَةً). (أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه).

وعن عبادةَ بن الصَّامت رضي الله عنه أَنه سمعَ النبي ﷺ يقول: (ما من عبدٍ يسجد لله سجدة إِلاَّ كتب الله له بها حسنة، ومحا عنه بها سيئةً، ورفع له بها درجة، فاسْتَكثِرُوا من السُّجود). (أخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من حالة يكون العبد عليها أَحب إلى الله من أَن يراهُ ساجداً يُعَفِّرُ وَجهَهُ في التُّراب».(أخرجه الطبراني في الأوسط)، وقوله ﷺ: يعفر وجهه في التراب كناية عن الخضوع لله تعالى وتمام الذل له.

أما بعد هل فتحت لنا في لحظة من لحظات السجودِ العوالمُ والآفاق، التي تفتح للساجدين بحق؟ وهل تولدت في أرواحنا تلك المعاني الراقية التي تتولد في أرواح المسبحين.

هل سجدت قلوبنا لله ﷻ مع سجود أعضائنا؟ أم أن صلاتنا حركات فارغة، وأقوال بلا روح؟

هل ذاقت قلوبُنا بعضَ معاني القرب من الله ﷻ؟

قيل لبعض العارفين: أيسجد القلب؟ قال: نعم، سجدة لا يرفع رأسه منها أبدا...

اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك وأفقر عبادك إليك، اللهم لا تحرمنا من لذة القرب منك في الدنيا، ولذة النظر إلى وجهك الكريم في الآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

الأسود باعتباره أشرف مكون من مكونات المسجد الحرام يدل من جهة على مدى تعظيمهم للبيت ورغبة كل قبيلة منهم في الفوز بشرف وضع الحجر في مكانه – والعرب في الجاهلية يقتتلون على أقل من هذا بكثير، فقد تدوم الحرب بينهم سنين بسبب قتل ناقة غريبة (حرب البسوس) أو بسبب سباق للخيل (حرب داحس والغبراء) فكيف إذا كان وضع الحجر الأسود في مكانه من الركن الأعظم للبيت الحرام–

لذلك اصطفت الأحلاف القبلية، بل أكد بعضهم أن هذه المسألة لن تحل إلا بالدماء فغمسوا أيديهم في جفنة دم ! هذا الظاهر، أما المخفي فهو صراع مرير على زعامة مكة التي كانت محصورة بين بني هاشم (السقاية والرفادة) وبني عبد الدار (السدانة والندوة واللواء)، حيث ظهرت قبائل قوية وقادة طامحون جدد أرادوا مزاحمة بني هاشم وبني عبد الدار على هذه المناقب، فبرزت قبيلة بني مخزوم ومن قادتها الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وآخرون، وبرزت بنو جمح ومن قادتها أمية بن خلف وأخوه أبي، وبنو سهم ومن زعمائها العاص بن وائل وبنيه ومنبه ابنا الحجاج، وبني أمية ومن زعمائهم أبو سفيان وغيرهم، واستعرت المنافسة على سيادة مكة. ونلاحظ المضايقات التي تعرض لها أبو طالب زعيم بني هاشم حينما اصطف إلى جانب الرسول ﷺ في دعوته وكيف استفرد أبو جهل بن هشام المخزومي بزعامة الحلف المعادي للدعوة وقاد قريشا يوم بدر ولم تكن القيادة لبني مخزوم يوما، وبعد موته انتقلت قيادة قريش لأبي سفيان زعيم بني أمية بن عبد شمس وهو الذي قاد المواجهة ضد الرسول ﷺ ودعوته إلى فتح مكة. والظاهر أن قريشا في هذه المرحلة كانت في حاجة إلى قيادة جامعة توحدها ثم تجمع قبائل العرب حولها ليأخذ العرب مشعل حضارة العالم، حضارة منبعثة من منهج رباني وبقيادة نبوية راشدة.

سادسا:

إن اقتراح أبي أمية بن المغيرة المخزومي –وهو والد السيدة أم سلمة زوج النبي ﷺ فيما بعد– تحكيم أول داخل من باب المسجد اقتراح طريف، وسرعة قبول قريش به دليل على أن الأزمة بلغت مداها وأصبحت تنذر بحرب أهلية بين قبائل قريش تحصد الأخضر واليابس. أما كون محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هو أول داخل من باب المسجد في تلك الساعةفهو اختيار رباني، ودليل على حضور الرسول ﷺ في شؤون قومه المهمة، ومشاركته في تدبير الشأن العام لقبيلته وبلده وسبقه إلى مراكز اتخاذ القرار، فلم يكن مع اللاهين من أقرانه من شباب مكة بل تجده وسط الملأ: في حرب الفجار وفي حلف الفضول واليوم في بناء الكعبة وفي كل عمل ذي بال. وهو ما جعله مفخرة قومه ومفزعهم في المدلهمات فما إن رأوه حتى قالوا: "هذا الأمين، رضينا، هذا محمد"، وأحسب أنه لو لم يكن محمدا ما رضوا، إنه محمد صاحب الخلق الرفيع والشرف السامي والتدبير الرزين والقسمة العادلة المنصفة.

سابعا:

إن الأمين المختار الذي صنع على عين الله تعالى طيلة خمس وثلاثين سنة استطاع حل الإشكال باقتراح منصف للجميع دون تمهل ولا تأخر، فقد فكر بسرعة وقرر بسرعة واقترح برفق وأقنع بعدل وحل المشكل من أساسه.

حل الإشكال بأن تم بناء البيت وهو المطلوب، ورضيت كل القبائل وحقنت الدماء وأغمد سيف الفتنة.

وتلك إشارة عظيمة إلى أن محمد بن عبد الله مبعوث بالرحمة والعدل وحسن التدبير وتوحيد الأمة وحقن دماء الأبرياء، وإشراك الجميع الأمر لإكمال بناء صرح حضارة الأمة.

كان هذا ولما ينزل عليه الوحي، فيا لجهل من يفتري عليه بهتانا أنه جاء بدين يدعو إلى سفك الدماء وقتل الأبرياء !

ثامنا:

إن الذي وضع الحجر الأسود بيده في موضعه هو محمد بن عبد الله ﷺ، فهو الذي حاز كل الشرف في إعادة بناء البيت الحرام، ومن أنسب منه لهذه المهمة العظيمة؟ وتلك إشارة إلى أن الذي سيجدد الله على يديه دين إبراهيم هو هذا النبي المبارك.

إن بيت الله الذي رفع قواعده إبراهيم عليه السلام يحسن أن يجدد بناءه محمد ﷺ. كما أن شرع الله الحنيف الذي نزله الله على إبراهيم أتمه الله وأكمله على يد محمد ﷺ. وتلك إشارة واضحة وقد قرب زمن البعثة المحمدية.

توظيف القصص والأمثال في الإقناع الخطابي

د. الطيب الوزاني

أولا: قيمة القصص والأمثال في الإقناع :

يعتبر الاستدلال بالقصص والأمثال في التخاطب الإنساني عامة وفي الخطابة خاصة ذا قيمة في الإقناع واستمالة النفس إلى ما ترغب فيه أو تنفر منه، وقيمة هذا النوع في الخطابة الإسلامية تتجلى في قوة حضوره في القرآن الكريم والحديث النبوي حيث قامت الدعوة الإسلامية في معظم أركانها على مقصد الإقناع والدعوة بالتي هي أحسن، وتعتبر القصة والمثل من العناصر البارزة الواردة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بل إن الحجاج القرآني والنبوي في ترسيخ أصول العقيدة والإيمان وكليات الأخلاق وتشريع الأحكام اعتمد كثيرا على القصص والأمثال إلى جانب الأدلة والحجج الأخرى اعتمادا قويا باعتبار القوة الحجاجية والتأثيرية لهذه النماذج من الأساليب، وذلك لأن العرب نفسها كان من جملة أساليبها في الخطاب والإقناع استعمال القصة والأمثال، ولهم في هذين الصنفين أدب رفيع في الفصاحة وقوة البيان والإقناع وجمال التأثير والإمتاع قل نظيرها في الآداب الأخرى، يقول ابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ) في شأن الأمثال وقيمتها عند العرب ووجه ميزتها على أجناس القول الأخرى كالخطابة والشعر: "هي وشي الكلام، وحلي المعاني، التي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها، حتى قيل أسْير من مثل، وقال الشاعر:

ما أنت إلا مثل سائر

يعرفه الجاهل والخابر(1)

كما اعتبرت العربُ الكلامَ الذي يصاغ على هيأة الأمثال يكون أكثر بيانا وإقناعا قال ابن المقفع (ت. 132هـ): "إذا جعل الكلام مثلا، كان ذلك أوضح للمنطق، وأبين في المعنى، وأنق في السمع، وأوسع لشعوب الحدث"(2)، فذكر الأمثال في الكلام قوة من بلاغة المتكلم ورعي لسمع المخاطب، وحرص على البيان وتقريب المعنى من أقرب الوجوه وأيسر السبل، لذلك ذكر النظام المعتزلي للمثل خصائص تلقاها من جاء بعده بالاستحسان والقبول؛ فقال: " تجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"(3)، وهكذا يظهر أن المثل حاز أهم خصائص القول البليغ لذلك عده النظام "نهاية البلاغة"، ولما كان المثل بهذه الصفات البلاغية كان حجة واستعمل في الكلام للإقناع والتأثير في السامع، فقال قدامة ابن جعفر: "فأما الحكماء والأدباء فلا يزالون يضربون الأمثال، ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر، والأشياء والأشكال، ويرون هذا القول أنجح مطلبا، وأقرب مذهبا، وإنما فعلت العلماء ذلك لأن الخبر في نفسه إذا كان ممكنا فهو محتاج إلى ما يدل عليه، وعلى صحته، والمثل مقرون بالحجة(4) وقد أكد كثير من القدماء على هذه الوظيفة الحجاجية والإقناعية للمثل وسرعة تأثيره في النفوس ففيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبي(5)، وعبر ابن القيم عن هذ البعد التأثيري بأن قال: "وفي الأمثال من تآنس النفس وسرعة قبولها، وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره"(6)، وكما اعتبر نهاية البلاغة فقد عدت أيضا "منتهى الحجة، وموضع الحكم، وذريعة الإذعان والاعتراف"(7)، إن المثل ليس صياغة لفظية على هيئة مخصوصة في أداء المعنى فقط وإنما المثل كما قيل "هو الحجة وهو صحيح لأنه يحتج به"(8).

وبناء على هذا فالمثل أوضح في البيان وأوقع في النفس في الوعظ والترغيب، وأزجر لها في الترهيب والتنفير، وأكثر إقناعا لها في الذم والمدح، والدعوة إلى الفعل أو الترك، وأكثر تحريكا للنفوس في التحميس والإقدام، وأكثر تسكينا لها في الصلح والإحجام، وبذلك لا يستغني عن توظيف الأمثال متكلم ولا خطيب ولا واعظ ، ولا معلم ولا متكلم ، ولا محاضر ولا مناظر.

وقد ورد في القرآن الكريم استعمال القصة، واستعمال مفهوم القصص، وبيان مقصدها والحكمة منها ومن إيراده وإيراد نماذج من

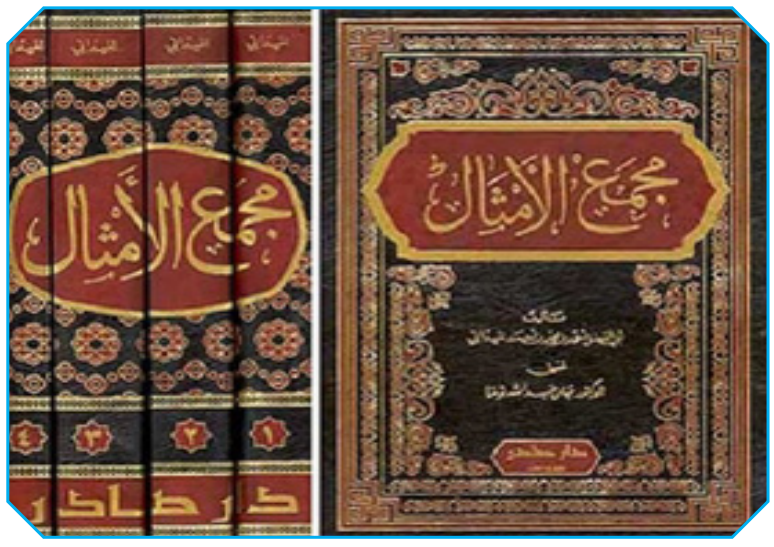

قصص السابقين، ففي بيان المقصد والحكمة من إيراد قصص السابقين يقول الحق جل وعلا: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الأعراف: 176). وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾(يوسف: 111).

﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(سورة هود: آية 34). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام: 34).

كما وصف الله جل وعلا هذه القصص التي أوحى بها لنبيه لتحقيق المقاصد السابقة بأنها الحق وأنها تتصف بالصدق وعدم الكذب ونفى عنها أن تكون مجرد أساطير أو ضربا من الخيال فقال جل وعلا ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾(البقرة: 252)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ من نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(آل عمران: 62). وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(آل عمران: 62)، قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾(الكهف: 13).

ونفس الأمر يصدق على القصة في الحديث النبوي ودعوة رسول الله ﷺ؛ فقد اعتمدت دعوته على القصة اعتمادا كبيرا فقد جاءت القصة النبوية لتحقيق أغراض كثيرة فهي أولا إما بيان للقصص القرآني وتفصيل لمجمله واستثمار له في التربية والدعوة والبلاغ، وإما لأغراض التربية على قيم الصبر والثبات والحث على العمل الصالح وقول الحق مثل قصة الملك والساحر والغلام، وقصة الثلاثة الذين دخلوا في الغار، وقصة الأبرص والأقرع والأعمى، وغير ذلك من القصص التي كان الرسول يوظفها لتثبيت المؤمنين وتقوية عزائمهم وحثهم على العمل بالأخلاق الفاضلة والتزام قيم الصدق والحق والصبر والحكمة.

ثانيا: توظيف القصص والأمثال في الخطابة :

وهنا يستفاد أن الخطيب عليه -إن كان يرجو الفلاح في دعوته- أن يهتدي بمعالم الهدى المنهاجي في القرآن الكريم وسنة النبي ويستلهم مقاصد ذلك فإن أثره في الإقناع كبير.

وإذا صدق ما سبق على القصص وتوظيفها فيصدق بنفس القدر على الأمثال، بل إن للمثل وظائف بيانية وحجاجية متعددة؛ قال الحسن اليوسي رحمه الله تعالى: "إن ضرب المثل يوضح المنبهم، ويفتح المنغلق، وبه يصور المعنى في الذهن، ويكشف المعمى عند اللبس، وبه يقع الأمر في النفس أحسن موقع، وتقبله فضل قبول، وتطمئن إليه اطمئنانا، وبه يقع إقناع الخصم، وقطع تشوف المعترض وهذا كله معروف بالضرورة، شائع في الخاص والعام، ومتداول في العلوم كلها منقولها ومعقولها، وفي المحاورات والمخاطبات"(9)، و لما كان "المثل مقرونا بالحجة"(10)، وكانت "الأمثال أقرب إلى العقول من المعاني"(11) صار وقعها في العقول والنفوس كبيرا لأنه بالأمثال يمكن أن تقرب الصور الغائبة عن الذهن في شكل محسوس قابل للإدراك سهل المأخذ والتناول "فيستعين العقل على إدراك ذلك بالحواس، فيتقوى الإدراك، ويتضح المدرك"(12)، كما أنه يمكن من تغيير السلوك بعد تغيير الأفكار، وقد كان توظيف المثل في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ قويا وكان ركيزة قوية من ركائز البلاغ والدعوة والإقناع، وفيه "تبكيت للخصم الألد"(13) لذلك نجد النبي ﷺ وظف المثل لتقريب القضايا الغيبية في صورة محسوسة، وضرب المثل لبيان وظيفته ورسالته ضمن سلسلة الرسل الكرام، «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ، إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»(14)، وضرب المثل لبيان نماذج المتعلمين وأصناف المتلقين للدعوة قبولا وجحودا: «إِنَّ مثل مَا بَعَثَنِي اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ الأَرْضَ». وَقَالَ يُوسُفُ: "أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ. وَقَالَ ابْنُ كَرَامَةَ، وَابْنُ أَبِي السَّفَرِ: "أَجَادِيبُ". وَقَالَ ابْنُ الْعَلاءِ، عَنْ يُوسُفَ: "أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فشربُوا منْهَا، وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لا تُمْسِكُ مَاءً، وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مثل مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ"(15).

والخلاصة أن توظيف الخطيب للقصص والأمثال والحكم في خطبه عمل محمود ومؤثر في الجمهور لأن النفس كما تستحسن العقليات الموزونة بميزان العقل الصارم وميزان الشرع العادل فإنها تستحسن ما كان جميلا ممتعا من الحكايات والأقوال، ومصوغا صياغة مسبوكة سبكا محكما، ولذلك فالقصص المروية ذات العبر والمغازي، والحكم الدالة على خلاصة التجربة الحياتية للأفراد والشعوب، والأمثال السائرة والأشعار المتضمنة لتلك الحكم والأمثال كلها ترضاها العقول، وتتلقاها النفوس بالقبول، فهي بقدر ما تقنع تمتع، خاصة إذا صادفت محلها وكانت وفق الحاجة والمقدار، إذ المهم في هذا حسن الاختيار والتعمق في فهم مدلول ما يستشهد به، ومدى مطابقته لما يستَشهَد له"(16).

ويستفاد من هذا أن الخطيب المسلم ينبغي أن يكون ريانا من القصص والأمثال المستعملة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ومقاصد ذلك، ومطلعا على الكتب التي عنيت بالقصص والأمثال في الوحيين، وفي التراث العربي وغيره مما يمكن أن يفيد.

---

1 – العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، تح: د. عبد المجيد الترحيني، ط. 1، 1404ه. 1983م، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، 3/ 3

2 – الأدب الصغير: عبد الله بن المقفع، ط. 1974م، دار بيروت للطباعة والنشر. ص. 27.

3 – مجمع الأمثال: الميداني(أبو الفضل أحمد بن محمد)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ". 1977، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1/7. 8

4 – نقد النثر: قدامة بن جعفر، تح: طه حسين، وعبد الحميد العبادي، س. 1941، المطبعة الأميرية، بولاق، ص. 73. 74 .

5 – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجو التأويل:: الزمخشري (أبو القاسم جار الله)، تح: محمد الصادق قمحاوي، ط. 1972، 1/ 195

6 – أعلام الموقعين: ابن قيم الجوزية، تح: عبد الرحمان الوكيل، ط. 1969، القاهرة، 1/291.

7 – الوسيلة الأدبية: حسين المرصفي، ط.1، 1292هـ، طبع المدارس الكلية، 2/ 64 .

8 – زهر الأكم في الأمثال والحكم:: الحسن اليوسي، 20/1

9 – زهر الأكم في الأمثال والحكم: الحسن اليوسي، تح: د. محمد حجي، ود. محمد الأخضر، ط. 1، س. 1401هـ / 1981م، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 31/1

10 – نقد النثر، ص. 66

11 – المحاضرات والمحاورات: جلال الدين السيوطي، تح: يحيى الجبوري، ط.1، س. 1424هـ/ 2003م، ص.131

12 – زهر الأكم في الأمثال والحكم، اليوسي م. س، 31/1

13 – البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: د. محمد أبو موسى، ط.2، س. 1408هـ/1988م، مكتبة وهبة، ص.481.

14 – صحيح البخاري، وصحيح مسلم

15 – صحيح البخاري وصحيح مسلم

16 – المتحدث الجيد: مفاهيم وآليات: عبد الكريم بكار، م. س، ص. 96

حقوق الطفل من خلال مقررات التربية الإسلامية السنة الثانية من سلك بكالوريا نموذجا، دراسة وتأصيلا (7/1)

د. لحسن وعكي

بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(الشورى: 49، 50)، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، قال تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾(الروم: 54)، والمراد بالضعف الأول في الآية: الوهن واللين. ومن ابتدائية، أي: مبتدأ خلقه من ضعف، أي: من حالة ضعف، وهي حالة كونه جنينا ثم طفلا مولودا ثم رضيعا ومفطوما، ثم صبيا إلى أن يبلغ أشده، فهذه أحوال غاية الضعف (1). وذلك بسبب الضعف بالصغر والطفولة...(2)

والضعف الذي تشير الآية إليه ذو معان ومظاهر شتى في تكوين هذا الإنسان. إنه ضعف البنية الجسدية الممثل في تلك الخلية الصغيرة الدقيقة التي ينشأ منها الجنين. ثم في الجنين وأطواره وهو فيها كلها واهن ضعيف. ثم في الطفل والصبي حتى يصل إلى سن الفتوة وضلاعة التكوين (3). وقد أجمع المفسرون على أن هذا الضعف هو ضعف الطفولة، وإن اختلفت عباراتهم في ذلك، ونظرا لهذا الضعف الذي اتصف به الإنسان بالطبع سيما في مرحلة الطفولة استحق حقوقا أوجب الإسلام حفظها وصونها على الأسرة والمجتمع بصفة عامة، ولا يجوز إضاعتها، بل إن ضياعها يعتبر جناية على الطفل والأسرة والمجتمع، وعواقب ذلك -لا قدر الله- وخيمة على الجهات المتقدمة كلها بدون استثناء، كما أن حفظها مصلحة تعود على الطفل والأسرة والمجتمع والأمة كافة بالنفع والفضل العميم، وقد اختلفت عبارات المؤلفين (4) في هذه الحقوق من حيث التصنيف والتقديم والتأخير وغيره.

والمراد بحقوق الطفل: جمع حق، وهو في هذا الباب مصلحة ذات أهمية كبيرة وعظيمة في حياة الفرد والجماعة، سواء أكانت مادية أم معنوية، عامة كانت أم خاصة، وحق الطفل ما يستحقه من حظ وجب له حقا لحماية نفسه وحياته، وتكوين شخصيته، وعملية بنائه العقلي والجسمي، وتأهيله للعضوية واندماجه في سوق الشغل (5). ومن هذه الحقوق:

1 - الحق في الأبوة الصالحة والأمومة الصالحة: (6)

وهو ما يعبر عنه باختيار الزوج، وهو يشمل الذكر والأنثى، كما يطلق في اللغة العربية على كل من الزوجين الرجل والمرأة، ولا تتحقق الأمومة الصالحة والأبوة الصالحة إلا بالاختيار الصحيح، لكل من الأب والأم، وقد حدد النبي ﷺ معايير الاختيار بقوله: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ»(7).

وقد أرشد النبي ﷺ راغبي الزواج بأن يظفروا بذات الدين، لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل في أداء حق الزوج وأداء حق الأولاد، وأداء حق البيت على النحو الذي أمر به الإسلام...

وانطلاقا من هذا المبدأ أوصى عثمان بن أبي العاص الثقفي أولاده بتخيّر النطف، وتجنب عرق السوء... بقوله لهم: (يا بني الناكح مغترس، فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه، والعرق السوء قلما ينجب، فتخيروا ولو بعد حين).

وتحقيقا لهذا الاختيار وأهميته أجاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن سؤال لأحد الأبناء لما سأله ما حق الولد على أبيه، بقوله : (أن ينتقي أمه، ويحسّن اسمه، ويعلمه القرآن)(8).

ولأهمية الزوجة ومكانتها ودورها، في الأسرة والمجتمع عموما، وفي تربية الأبناء وتنشئتهم خاصة، أولى الإسلام أهمية كبرى لاختيارها، واهتم بذلك اهتماما غير مسبوق، لأنها أهم ركن من أركان الأسرة، إذ هي المنجبة للأولاد، وعنها يرثون كثيرا من المزايا والصفات، وفي أحضانها تتكون عواطف الطفل، وتتربى ملكاته ويتلقى لغته، ويكتسب كثيرا من تقاليده وعاداته، ويتعرف دينه، ويتعود السلوك الاجتماعي. من أجل هذا عني الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه.

وليس الصلاح إلا بالمحافظة على الدين، والتمسك بالفضائل، ورعاية حق الزوج، وحماية الأبناء، فهذا هو الذي ينبغي مراعاته. وأما ما عدا ذلك من مظاهر الدنيا، فهو ما حظره الإسلام ونهى عنه إذا كان مجردا من معاني الخير والفضل والصلاح (9).

وفيما يتعلق بحق التمتع بالأبوة

الصالحة أرشد النبي ﷺ أولياء المخطوبة بأن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق، ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة، وأداء حقوق الزوجية، وتربية الأولاد، والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف، وتأمين حاجات البيت بالبذل والإنفاق (10).

روى الترمذي بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»(11).

بناء على ما تقدم، يجب على الولي أن يختار لكريمته، فلا يزوجها إلا لمن له دين وخلق وشرف وحسن سمت، فان عاشرها عاشرها بمعروف، وإن سرحها سرحها بإحسان.

قال أبو حامد الغزالي في الإحياء: والاحتياط في حقها أهم، لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها، والزوج قادر على الطلاق بكل حال.

وإذا ما زوج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شارب خمر، فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله تعالى لما قطع من الرحم وسوء الاختيار.

قال رجل للحسن بن علي: إن لي بنتا، فمن ترى أن أزوجها له؟ قال: زوجها لمن يتقي الله، فان أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

وقالت عائشة رضي الله عنها: (النكاح رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته). وقال ﷺ: «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها»(12).(رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس، ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح.

وقال ابن تيمية: ومن كان مصرا على الفسوق لا ينبغي أن يزوج (13).

---

1 – انظر التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، بدون طبعة، 1984 م، الدار التونسية للنشر- تونس :21/ 12. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي خطيب الري، ط 1420/3 هـ، دار إحياء التراث العربي . بيروت:25/ 111.

2 – انظر جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط 1/ 142 هـ . 2000 م، مؤسسة الرسالة: 20/ 118.

3 – في ظلال القرآن، سيد قطب، ط 17/ 1412 هـ، دار الشروق - بيروت . القاهرة: 5/ 2776.

4 – مؤلفو الكتاب المدرسي: منار التربية الإسلامية السنة الثانية من سلك البكالوريا كتاب التلميذ طبعة: 2008م، وكتاب في رحاب التربية الإسلامية السنة الثانية الباكلوريا كتاب التلميذ،ط 1429هـ . 2008م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية.

5 – منار التربية الإسلامية: 139.

6 – انظر منار التربية الإسلامية:140. وقد عبر عنه فريق التأليف باختيار الزوج.

7 – أخرجه البخاري تحت رقم: 5090، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط 1/ 1422هـ، دار طوق النجاة: 7/ 7.

8 – انظر تربية الأولاد في الإسلام، د.عبد الله ناصح علوان، ط 31/ 1418هـ . 1997م، دار السلام:33/1.

9 – انظر فقه السنة، للشيخ سيد سابق، ط 1417/1هـ . 1996م، دار الفكر: 2/ 17.

10 – انظر تربية الأولاد، د.ناصح علوان:31/1.

11 – الجامع الكبير . سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، 1998م، بدون طبعة، دار الغرب الإسلامي . بيروت:2/ 385.

12 – انظر إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي الطوسي، دار المعرفة . بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ : 42/2.

13 – انظر فقه السنة:21/2.

ذكر ومحاضرة

نصيحة المحب لحبيبه(3)

عبد الرفيع أحنين

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"»(1).

يتوجه المسلم بهذا الدعاء إلى ربه راجيا منه العون في الذكر والشكر وحسن العبادة، وذلك تمام الافتقار والتذلل لله تعالى؛ بحيث إنه ينفي عن نفسه الامتنان على الله بإقراره الصريح بأن ذكره لله جل وعلا وشكره لنعمه وإحسانه في تعبده إنما هو بعون الله الكريم وتوفيقه وبفضل منه، لا بحول العبد وقوته؛ فأنت عندما ترجو ربك وتسأله العون من أجل القيام بما هو واجب عليك تجاهه تعالى تكون في حالة من الافتقار التام إليه سبحانه.

والافتقار هو طابع العبودية وجوهرها، وكل عبد مفتقر إلى ربه سواء أقر بذلك أم لم يقر، قال تعالى:﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾ (فاطر: 15).

ومن الأمور التي نستفيدها من هذا الدعاء ما يلي:

– أن المحتاج إلى ذكر الله تعالى والمنتفع به هو العبد لا الرب تبارك وتعالى، قال جل شأنه:﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: 28)، فثمرة الذكر من اطمئنان وسكينة وثواب راجعة على العبد؛ لذلك كان محتاجا إلى عون الله وتوفيقه.

– أن الله عز وجل ليس في حاجة إلى أن نشكر نعمه علينا؛ فهو سبحانه الغني المتعال، وله خزائن السماوات والأرض يمد هؤلاء وهؤلاء من عطائه؛ الشاكرين وغير الشاكرين، قال تعالى:﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾ (الإسراء: 20)، وما عنده من أرزاق لا ينفد، قال جل ذكره في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر»(2)، أي أن ذلك لا ينقص من خزائنه شيئا! فالمستفيد الوحيد من الشكر والحمد هو العبد الشاكر، قال تبارك وتعالى:﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾ (النمل: 40)، وقال جل شأنه:﴿ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون﴾ (الروم: 44).

– تقديم ذكر الخاص وهو الذكر والشكر على ذكر العام وهو العبادة يدل على منزلة هاتين العبادتين ورفعة شأنهما وعظم أجرهما.

– الإحسان في الذكر والشكر مطلوب كما هو مطلوب ومرغوب في سائر العبادات، وذلك مفهوم قوله "وحسن عبادتك"؛ فبما أن العبادة تشمل الذكر والشكر فإن طلب الإحسان يشملهما كذلك.

– أن في طلب العبد من ربه أن يعينه على الإحسان في العبادة والإتيان بها على الوجه المرتضى دليلا على الاعتراف بالتقصير والتفريط، ويستدل على ذلك أيضا بقول العبد بعد السلام "أستغفر الله"(3) ثلاث مرات، وكأنه يستغفر الله سبحانه ويطلب عفوه مما بدر عنه من التقصير وخوف ألا يقبل عمله وأن يرد عليه، وتلك هي صفة المخلصين المسارعين إلى الخيرات، قال تعالى: ﴿والذين يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ (المؤمنون: 60).

فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، واجعلنا من المخلصين، وتقبل منا يا كريم يا حليم.

---

1 – صححه الشيخ محمد الألباني في صحيح أبي داوود، الحديث رقم: 1347.

2 – مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: 4680.

3 – مسند الإمام أحمد، رقم: 22408، وصححه الألباني في الكلم الطيب لابن تيمية، رقم: 107.

رفض واسع لقرار وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني بفرنسة تدريس العلوم في المدرسة المغربية

رغم أن الدستور المغربي ينص في فصله الخامس على أنه «تظل العربية اللغة الرسمية للدولة، وتعمل الدولة على حمايتها وتطويرها وتنمية استعمالها، وتعد الأمازيغية أيضا لغة رسمية للدولة، باعتبارها رصيدا مشتركا لجميع المغاربة دون استثناء». فقد أقدمت وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني على إصدار مذكرتين في شأن لغة تدريس الرياضيات والعلوم الفيزيائية بالثانوي التأهيلي بالشعب العلمية (العلوم الاقتصادية والتدبير بالجذع المشترك التكنولوجي وشعب ومسالك التقني صناعي بتاريخ 2015/10/19، وعللت الوزارة قرارها بأنه جاء "تصحيحا للاختلالات التي تعرفها المنظومة التعليمية، وخصوصا منها تلك المتعلقة بتكامل المواد التعليمية في السلك الثانوي التأهيلي، فقد تقرر ابتداء من العودة المدرسية المقبلة 2017/2016 تدريس مادتي الرياضيات والعلوم الفزيائية، باللغة الفرنسية، بشعبتي العلوم والتكنولوجيات الميكانيكية والعلوم والتكنولوجيات الكهربائية". وأهابت المذكرتان بمديري ومديرات الأكاديميات ب"تعميم هذه الإجراءات على كل مؤسساتها الثانوية التأهيلية العمومية والخصوصية الحاضنة للشعب"، ونصت الوزارة في المذكرتين على أنه "يمكن بدء تدريس هذه المواد باللغة الفرنسية ابتداء من الموسم الدراسي الحالي 2016/2015، إذا توفرت لديها الشروط الضرورية لذلك"

ويذكر أن قرار وزير التربية الوطنية هذا جاء مناقضا للمسار الذي انتهجه المغرب منذ الاستقلال حيث اعتمد سياسة تعريب التعليم منذ عام 1977، لكن هذه السياسة ظلت متعثرة، وبقيت المواد العلمية والتكنولوجية والرياضيات تدرس باللغة الفرنسية في التعليم الثانوي بالبلاد، إلى مطلع تسعينيات القرن الماضي، حيث تقرر تعريب جميع المواد حتى نهاية البكالوريا، مع استمرار تدريس العلوم والاقتصاد والطب والهندسة باللغة الفرنسية في جميع جامعات المغرب إلى اليوم.

وقد اعتبر كثير من المهتمين بالشأن التعليمي واللغوي أن هذا القرار هو انتصار للفرونكوفونية التي ستستهدف فرنسة البلاد وطمس الهوية المغربية والقضاء على العربية. ويمكن القول إن الموضوع شغل حيزا كبيرا من النقاشات في الصحافة المغربية المكتوبة والإلكترونية

الائتلاف الوطني لحماية اللغة العربية : القرار فرنسة التعليم والقضاء المبرم على مسار التعريب المؤسس للدولة الوطنية

في نسخة من البيان الذي أصدره "الائتلاف الوطني من أجل اللغة العربية" الذي يضم 110 جمعيات ومنظمات مغربية تعنى باللغة العربية، توصلت جريدة المحجة بنسخة منه قال الدكتور فؤاد أبو علي منسق الائتلاف إن سياسة وزير التربية الوطنية بخصوص تعميم الفرنسية في التعليم، تعني "الانقلاب التام والمكتمل على هوية الوطن"، متهما الوزير بـ"مسابقة الزمن" من أجل ما وصفها بـ"فرنسة التعليم والقضاء المبرم على مسار التعريب المؤسس للدولة الوطنية".

وبخصوص المبرّرات التي ساقتها الوزارة لتحقيق التكامل، قال بوعلي إن هذا مردود عليه لأن المذكرة لا تستند إلى رؤية علمية للغة التدريس، «ونعلمُ أن دول العالم المتحضر تدرس بلغاتها الوطنية، وعملية التعريب في المغرب لم تُستكمل».

وزاد بوعلي أن «الأمر يتعلق بهروب نحو الأمام، وهذا الوزير لا يعترف بالحكومة، ولا بغيرها من المؤسسات الدستورية، بل له أجندته المُملاة عليه، والتي جاء لتنفيذها».

«قرار الوزير يتعارض مع توصيات المجلس الأعلى للتربية والتكوين الذي أكّد أن العربية هي لغة التدريس الأساس

في حديث لها مع قناة الجزيرة قالت آمنة ماء العينين عضوة المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي: إن المذكرة تلامس واحدة من أعقد الإشكاليات، وهي لغة التدريس.

وأضافت أن «البعض يدّعي فشل العربية في أن تكون لغة لتدريس العلوم، لكن الجميع يعلم أن عشرين دولة مصنفة في المرتبة الأولى من حيث جودة تدريس العلوم كلها تدرسها بلغاتها الوطنية». وضمن السياق ذاته، قالت ماء العينين إن المذكرة تنم عن ارتباك وفشل في التخطيط، لأن المشكلة لا تتعلق بتعريب العلوم، وإنما بغياب الإرادة في إنجاح التعريب، «والدليل على أن الإشكال لا يكمن في العربية هو تفوق الطلاب المغاربة في أولمبياد الرياضيات على المستوى العالمي».

مؤكدة أن «قرار الوزير يتعارض مع توصيات المجلس الأعلى للتربية والتكوين الذي أكّد أن العربية هي لغة التدريس الأساس مع إمكانية الانفتاح على الفرنسية والإنجليزية لتدريس بعض المجزوءات والمضامين».

«فرنسة» تعليم العلوم بالمغرب «استعمارا ثقافيا» :

من جهة أخرى اعتبر أحمد ويحمان، الناشط ورئيس رابطة «أمازيغيين من أجل فلسطين»، «فرنسة» تعليم العلوم بالمغرب «استعمارا ثقافيا»، وتعزيزا للفرانكوفونية في البلاد، مضيفا في تصريحات للأناضول، أن قرار وزارة التربية الوطنية «يدخل ضمن مخطط العمل التخريبي المبرمج والمخطط له، والذي يعملون عليه خطوة خطوة، ويحضرونه للمغرب وللأقطار المغاربية الأخرى»، دون أن يشير إلى المقصود بكلامه.

وعبّر رئيس الرابطة الأهلية التي تعنى بـ«مناهضة التطبيع بكل أنواعه مع الكيان الصهيوني»، عن اعتقاده أن «هذا المخطط لا يختلف في شيء عن ما دبر للمشرق العربي، فكما خربوا العراق وليبيا وسوريا عسكريا، جاء الدور على المغرب العربي بأشكال أخرى».

ورأى ويحمان، أن القرار «استهداف للعروبة كواحد من الركائز الثلاثة الموحدة للمغرب، وهي الإسلام والعروبة والنظام السياسي»، مشيرا إلى أن «هناك أطراف معروفة بجهلها للعربية، بل وعدائها لها، تسعى إلى فصل أبناء المغرب عن لغتهم وتاريخهم الحضاري والعلمي، ليصبحوا لقمة سائغة للفرانكوفونية والاستعمار الثقافي، وذلك عبر اللعب على وتر تدريس اللهجة المغربية والتعليم بالفرنسية».

فرنسة التعليم «خطأ كبير » و«انقلاب على المقتضيات الدستورية»

رئيس جمعية حماية اللغة العربية بالمغرب، الدكتور موسى الشامي قال إن قرار وزير التربية الوطنية رشيد بلمختار «خطأ كبير».

وأضاف: «حين فكر الوزير في تدريس الرياضيات والفيزياء باللغة الفرنسية كان يفكر ربما في تكافؤ الفرص بين التلاميذ المغاربة، متناسيا أن التكافؤ لا يكون بهذه الطريقة؛ وكأن التلاميذ المتابعين لدراستهم بالمدارس المغربية العمومية جزء من البعثة الفرنسية»، مشيرا إلى أن «أكبر حيف يعانيه التلاميذ هو عدم توحيد المدرسة المغربية».

وأشار إلى أن المذكرة «انقلاب على المقتضيات الدستورية» و«خروج عنها وانتقاص منها، ذلك أن الوثيقة تنص على لغتين رسميتين في البلاد، هما العربية والأمازيغية»

المذكرة الداعية إلى فرنسة التعليم تخالف الدستور و التوصيات الصادرة عن مجموعة من الندوات منذ الاستقلال

انتقد النقيب عبد الرحمان بنعمرو مذكرة وزارة التربية الوطنية الداعية إلى فرنسة التعليم ، واعتبر الحقوقي المغربي، في تصريح لليوم24 أن المذكرة الداعية إلى فرنسة التعليم تخالف الدستور و التوصيات الصادرة عن مجموعة من الندوات منذ الاستقلال ، معبرا عن استغرابه من سكوت البرلمان و الحكومة و الأحزاب المغربية اتجاه هذه الفلتات التي تضرب في العمق قيمة اللغة العربية التي لا يمكن الرفع من قيمتها إلا باستعمالها، و تابع بنعمرو قائلا إن الدعوة إلى فرنسة التعليم مخطط وراءه ما أسماهم "مسامر" فرنسا في المغرب، متهما إياهم بالسعي إلى تخريب اللغة العربية لأن تعريب الإدارة و المدرسة لا يخدم مصالح الفرنكوفونيين المغاربة مع فرنسا.

من جهة اخرى، عبر النقيب عبد الرحمان بنعمرو، عن إستعداده لتبني الملف أمام القضاء، خصوصا بعد تهديد الائتلاف الوطني من أجل اللغة العربية باللجوء إلى القضاء للطعن في مذكرة بلمختار.

المذكرة اعتراف واضح من الدولة بوجود اختلالات بمنظومة التربية والتكوين :

ومن جهته اعتبر أحمد المصمودي نائب رئيس الفيدرالية الوطنية المغربية لجمعيات آباء وأمهات التلاميذ إن هذه المذكرة اعتراف واضح من الدولة بوجود اختلالات بمنظومة التربية والتكوين، وأضاف المصمودي في تصريح لجريدة «العلم» (11/10/ 2015) أن رسالة الوزير إلى مديرات ومديري الأكاديميات الجهوية توضح الإملاءات التي تفرض على الوزارة من أجل تدبير قضية لغة التدريس.

وتساءل إن كانت الوزارة لم تستطع توفير الموارد البشرية وسد الخصاص في بعض المواد، فكيف لها أن تحول العديد من المواد من اللغة العربية إلى الفرنسية، وقال إن هناك ضغطا من فوق على رشيد بلمختار وزير التربية الوطنية لتحويل هذه المواد إلى اللغة الفرنسية.

وأشار إلى اختلال آخر وهو أن مؤسسات عمومية تدرس الألمانية والإيطالية والإسبانية والإنجليزية في نفس المؤسسة، واعتبر الدعوة إلى تدريس مواد بالفرنسية ليس اختيارا بل هو عملية مفروضة على المغرب من أطراف وازنة على المستوى الدولي

وأوضح أن توحيد لغة تدريس المواد تلعب دورا أساسيا خاصة بعد الانتقال إلى الجامعة والمعاهد العليا.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل : .....
.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا
■ داخل المغرب : 60 درهم
■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :
● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية
● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)
رقم : 21111134129000014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :
جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،
فاس – المغرب

تداعيات تفجيرات فرنسا على العرب والمسلمين

بعد هجمات باريس.. فرنسا تتظاهر ضد المسلمين :

أثارت هجمات باريس ردود فعل عنيفة لدى بعض الأوروبيين إذ طالبوا في مدينة ليل الفرنسية بطرد المسلمين من فرنسا، كما قاموا بإحراق مساجد في إسبانيا وهولندا

ورفع عشرات المتظاهرين في مدينة ليل الفرنسية لافتات كتب عليها «فليطرد المسلمون» في مسيرة غاضبة تنديدا بالأحداث الدامية التي عاشت على وقعها باريس، الجمعة 13 نوفمبر/تشرين الثاني، والتي راح ضحيتها 129 شخصا من المدنيين

حرق للمساجد في إسبانيا وهولندا :

في إسبانيا أضرم مجهولون النار في أحد المساجد عن طريق إلقاء عبوات حارقه ، دون أن تتمكن الشرطة من تحديد الجهة المسؤولة أو القبض على أي من تلك العناصر المشاركة في الجريمة

وفي هولندا أيضا، حاول مجهولون في مدينة «روزندال»، التابعة لمقاطعة شمال برابنت، ليلة الجمعة 13 نوفمبر/تشرين الثاني إحراق مسجد، يرتاده المغاربة القاطنون في المنطقة.

وقد أعلنت الشرطة الهولندية أن محاولة الحرق ألحقت تدميرا بالمسجد، مؤكدة أنها تجري التحقيقات اللازمة بشكل جدي للكشف عن هوية الفاعلين

وكانت محكمة هولندية، غرمت الشهر الماضي، 8 أشخاص دعوا عبر الإنترنت، إلى القيام بأعمال عنف وحرق المساجد في البلاد.

مسلمو ألمانيا يخشون تداعيات تفجيرات باريس :

حذر مسلمو ألمانيا من «التداعيات السلبية» لهجمات باريس عليهم وقيام التيارات اليمينية المتطرفة بتوظيف تلك الأحداث، التي أجمعوا على التنديد بها واعتبروها «إرهابا بربريا جبانا وغادرا».

وقال المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا إنها «هجمة حربية مدبرة ضد الإنسانية وضد الإسلام بشكل مباشر، وتستهدف نشر الهلع والفتنة والتحريض بين الأديان وفئات المجتمعات المختلفة».

وجاء في البيان الذي تلقت الجزيرة نت نسخة منه «إن مسلمي ألمانيا يقفون إلى جانب فرنسا في هذه اللحظات العصيبة، ويحزنون لضحاياها ويتعاطفون مع أسرهم».

وأكد رئيس المجلس أيمن مزايك أن «هذا العمل الإرهابي الغادر والجبان لن ينجح في تحقيق أهدافه ما دمنا يقظين وحازمين ومتعاونين» ودعا وسائل الإعلام والسياسيين إلى «انتقاد المبررات الدينية التي يرددها مرتكبو هجمات باريس حتى لا يسهموا في تكريس اختطاف القتلة للإسلام».

ودان التجمع الإسلامي في ألمانيا هجمات باريس، واعتبرها «فعلا إجراميا ضد قيم الحرية والديمقراطية والتعايش السلمي».

اعتداء وتهديد مساجد في كندا وأميركا بعد تفجيرات باريس :

أكدت شرطة مدينة بيتربروغ بمقاطعة أونتاريو الكندية، أن الحريق الذي اندلع في مسجد السلام، مساء السبت، هو «جريمة متعمدة»، فيما يبدو أنه رد فعل على تفجيرات العاصمة الفرنسية باريس التي راح ضحيتها نحو 130 شخصا.

ونقلت شبكة «سي إن إن» الأميركية عن المسؤول في شرطة بيتربروغ، ديبي جيلليز، أن «الشرطة تحقق في الحريق باعتباره جريمة كراهية»، مضيفا أنه «غير معروف كيف اندلع الحريق، ولم يكن هناك إصابات».

وفي ولاية فلوريدا الأميركية، أعلن مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية (كير)، في بيان، أن «المركز الإسلامي في مدينة بطرسبورغ، تلقى تهديدات بعد هجمات باريس»، وأكدت شرطة بطرسبورغ أن الشرطة المحلية، والفيدرالية تحققان في التهديدات.

وبحسب البيان «هناك مسجد آخر في الولاية تلقى اتصال تهديد بشن هجمات قاتلة عليه وعلى مساجد أخرى في الولاية»، كما أن وزارة العدل الأميركية تحقق في التهديدات

الموقف الأوروبي من اللاجئين السوريين :

حذر رئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر، الاثنين 16 نوفمبر/تشرين الثاني، من الربط بين الهجمات الأخيرة التي شهدتها باريس وأزمة توافد اللاجئين على أوروبا.

ودعا يونكر الدول الأوروبية إلى التمسك بخطة الاتحاد الأوروبي المثيرة للجدل، بشأن

توزيع اللاجئين على دول أوروبا.

وقال يونكر على هامش قمة مجموعة العشرين في تركيا «أدعو الدول الأوروبية التي تحاول تغيير أجندة الهجرة التي اعتمدناها أن تكون جدية بشأنها، وعدم الاستسلام لردود الفعل الأولية هذه.. هذا لا يعجبني».

وأضاف أن «الأشخاص الذين نظموا وارتكبوا تلك الهجمات هم الأشخاص أنفسهم الذين يفر منهم اللاجئون وليس العكس. لذلك لا داعي لإجراء مراجعة كلية للسياسة الأوروبية بشأن اللاجئين».

ويرى كثير من المراقبين أن تفجيرات فرنسا ستلقي بظلالها كثيرا على كثيرا من القضايا العربية والإسلامية وسيستغلها اليمين المتطرف في تصعيد نزعة الكراهية ضد المسلمين ، كما ستستغلها قوى إقليمية في المنطقة العربية والإسلامية لصفية حساباتها مع حركات المقاومة، وحركات الإسلام السياسي

المجالس العلمية المحلية لمدن اخنيفرة وميدلت والراشيدية تتدارس

" دور المؤطرة الدينية في توعية المجتمع

أكد المشاركون في اللقاء الجهوي الثالث للمجالس العلمية المحلية لجهة مكناس تافيلالت الثاني أن «مكانة المرأة في الأسرة والمجتمع، تستدعي حضورا متزايدا وفعالا للمؤطرة الدينية، وبالنظر للواقع والخطوب المحيطة بالأسرة والمرأة التي هي نصف المجتمع، يحتم على المؤطرات والمرشدات اعتماد خطاب ديني يتماشى مع المرحلة، مبرزين الدور الرسالي للمؤطرة الدينية في محيطها، ضمن التوصيات التي حملتها الأوراق البحثية المقدمة في لقاء مجالس (خنيفرة وميدلت والرشيدية)، الذي استضافه المجلس العلمي المحلي للرشيدية، لمدارسة موضوع: «المؤطرة الدينية ودورها الرسالي في توعية المجتمع»، يوم السبت 14 نونبر 2015م بقاعة المحاضرات بمركز الاستثمار الفلاحي بالرشيدية.

وقال ذ. الحبيب العمري رئيس المجلس العلمي المحلي للرشيدية، في تصريح خاص بـ«المحجة»: «إن هذا الملتقى يتعلق بالمرأة المؤطرة الدينية، ودورها الرسالي في توعية المجتمع، هذا الموضوع الذي يحظى باهتمام بالغ، لما له من علاقة بشريحة عريضة في المجتمع، وهي شريحة المرأة، هذه المرأة التي أدت دورا أساسيا في نهضتنا الإسلامية، حيث يكفيها فخرا أن أول من ناصر دعوة الإسلام هي المرأة الممثلة في أم المومنين خديجة رضي الله تعالى عنها، فهي التي واست النبي صلى الله عليه وسلم عندما فاجأه الوحي، وذلك بأن ثبتت نفسه وقوت عزيمته، وبذلت في ذلك النفس والنفيس».

وتابع قائلا: «وشعورا بهذه الأهمية، وما لدور المرأة من مكانة ودور أساس في تقدم المجتمع، تنظم المجالس العلمية الثلاث لقاءها هذا الذي يتناول بالدراسة والتحليل والمعالجة، كل ما يتعلق برسالة المرأة العلمية، وجهادها في إصلاح المجتمع».

ويضيف العمري: «وأوراق الملتقى تعالج هذا الموضوع من زوايا متعددة، منها ما يتعلق بالمؤهلات التربوية للمؤطرة ومنها ما يتعلق برسالتها الأساسية، في الدفاع عن ثوابت الأمة المغربية، ومنها ما يتوجب على المرأة أن تتمتع به من ثقافة علمية شرعية، ومنها كذلك شواهد من التاريخ التي تجلى بشكل واضح ما قامت به المرأة عبر التاريخ من أدوار في خدمة دينها وإصلاح مجتمعها، وفي تربية أبنائها وما ينتظرها في المستقبل حتى تكون رافعة تقدم لازدهار هذه الأمة».

وشدد الدكتور توفيق الغلبزوري رئيس المجلس العلمي للمضيق- الفنيدق أن «المؤطرة والواعظة والمرشدة لابد لها من زاد ثقافي شرعي أصيل قبل كل ثقافة أخرى، لأن مهمتها الأساس هو تثقيف الناس في أمور دينهم وتوجيههم وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة» إضافة إلى « فقه الواقع بتياراته المتنوعة وذلك يقتضي متابعة الأحداث وقراءة صحيفة يومية على الأقل».

ونبه الدكتور المصطفى زمهني رئيس المجلس العلمي المحلي لخنيفرة، في مداخلته الموسومة ب «قضايا علمية منتخبة لا يسع المؤطرة الدينية جهلها» على كون «مفهوم البدعة من أكثر المفاهيم التي أسيء إليها، حيث عمد البعض إلى إسقاط مفهوم أهل الكلام لمصطلح «الإحداث» على فهم وقصد النبي من حديث: «كل محدثة بدعة»، موضحا أن البدعة كما قال الشافعي: فيها المحمود والمذموم، إذ تشملها، يضيف المتدخل، الأحكام التكليفية الخمسة (واجب، مباح، حرام، مندوب، مكروه). وأكد المصطفى زمهني أن «ترك الرسول صلى الله عليه وسلم لأمر ما وعدم فعله لا يفيد المنع والتحريم.

وعرف الملتقى حسب البرنامج المعد، أربع جلسات: جلستين علميتين، وجلسة ختامية، وجلسة الافتتاحية ألقيت فيها كلمة افتتاحية لرئيس الجلسة ذ. الحبيب العمري رئيس المجلس العلمي المحلي للرشيدية. وكلمة المجالس العلمية المحلية لخنيفرة وميدلت والرشيدية، من طرف الدكتور المصطفى زمهني رئيس المجلس العلمي المحلي لخنيفرة. ثم اختتمت بكلمة باسم المؤطرات الدينيات، تلتها ذة. فاطمة هيبة الله عضو المجلس العلمي المحلي للرشيدية. فيما تولى تقرير الجلسة: ذة. فاطمة آيت أوعلي واعظة بالمجلس العلمي المحلي لميدلت.

فالجلسة العلمية الأولى الصباحية تمت فيها مدارسة موضوع: «المؤطرة الدينية وأهلية الأداء» وألقيت فيها أربع مداخلات:

– الأولى: «المؤهلات الروحية والتربوية للمؤطرة الدينية» للأستاذ. التهامي هرشى رئيس المجلس العلمي المحلي لميدلت.

– الثانية: «المؤطرة الدينية ودورها في بناء المجتمع الإسلامي الرشيد» للأستاذ. الحبيب العمري رئيس المجلس العلمي المحلي للرشيدية.

– الثالثة: «الثقافة الشرعية للمؤطرة الدينية» للدكتور توفيق الغلبزوري رئيس المجلس العلمي للمضيق- الفنيدق.

– الرابعة: «قضايا علمية منتخبة لا يسع المؤطرة الدينية جهلها» للأستاذ. المصطفى زمهنى رئيس المجلس العلمي لخنيفرة.

وخصصت الجلسة العلمية الثانية لـ: «عرض تجارب عمل المؤطرة الدينية بالمجالس العلمية المحلية للجهة»، ضمت أربع مداخلات هي:

– الأولى: المؤطرة الدينية ودورها التواصلي في تفعيل الخطاب الديني. ذ. الحسن أورهي أستاذ باحث في التواصل.

– الثانية: عرض أنشطة وصيغ عمل المجلس العلمي المحلي لخنيفرة. ذة. مونة أبلقاس عضو المجلس العلمي المحلي لخنيفرة.

–الثالثة: عرض أنشطة وصيغ عمل المجلس العلمي المحلي للرشيدية. ذة. لالة مينة ماداني علوي مرشدة بالمجلس العلمي المحلي للرشيدية.

– الرابعة: عرض أنشطة وصيغ عمل المجلس العلمي المحلي. ذة. لالة الحسنية كبيري عضو المجلس العلمي المحلي لميدلت.

خليل بنشهبة

قواعد الجدل في القرآن الكريم
قاعدة: «لا يقدح في البرهان، العجز عن الإتيان بما ليس في الإمكان» أنموذجا

امحمد أمين الخنشوفي

مقدمة:

من المعلوم أن لكل علم قواعده التي تضبط البحث والاجتهاد فيه، وتكون كذلك حصنا للباحث من أن يقع في الخطأ والشطط، ولعل علم الجدل والمناظرة من العلوم التي يجب أن تبنى على قواعد واضحة، باعتباره علما أساس موضوعه إقرار الحق وإبطال الباطل، ومحاولة الوصول إلى بناء المعارف الصحيحة القويمة، لذا فإنه لا شك أن المناظرة تنبني على أركان أهمها المتناظران اللذان يرومان بناء المعرفة الصحيحة، وما يشترط فيهما من شروط موضوعية وذاتية وكذا الموضوع؛ موضوع المناظرة، الذي لا بد أن يكون موضع خلاف؛ فلا مناظرة فيما اتفق عليه، أو فيما هو مسلم لدى العقلاء، ولتحقيق مقصد المناظرة والابتعاد بها عما يمكن أن يحيد بها عن هذا المقصد، لابد للأطراف المتناظرة من قواعد يضبطون بها مناظرتهم، ومن القواعد التي ينبغي استحضارها أثناء الفعل التناظري قولهم: «***لا يقدح في البرهان العجز عن الإتيان بما ليس في الإمكان***».

وقد درست هذه القاعدة بما يسر الله تعالى، وفق المنهج التالي:

شرحت حسب المستطاع الألفاظ الرئيسة في القاعدة، ثم أردفتها بتوضيح عام لمعنى القاعدة، ثم أوردت تطبيقاتها في القرآن الكريم زيادة في بيانها وإيضاحها، والله أسأل التوفيق والسداد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

شرح الألفاظ الرئيسة في القاعدة:

أولا: القدح:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: قدحت في نسبه إذا طعنت(1)، فالقدح في الدليل إذن من الناحية اللغوية هو الطعن فيه.

أما القدح في الاصطلاح، فلم أجد تعريفا محددا له في كتب الاصطلاح التي تيسر لي البحث فيها، وبناء عليه فقد حاولت صياغته بالاستناد إلى المفهوم اللغوي كما يلي: «القدح في الدليل هو الطعن فيه بما يبطله ويدحضه».وقد قرنت بين مفهوم القدح ومفهوم الدليل في التعريف باعتبار أن القدح في الفعل التناظري إنما يتوجه إلى دليل الخصم إبطالا له، وإثباتا لدليل القادح.

ثانيا: البرهان:

لغة: جاء في اللسان: «برهن يبرهن برهنة إذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم فهو مبرهن»(2).فالبرهان إذن هو الحجة القاطعة التي لا يقدح فيها قادح ولا يسع المخالف ردها.

أما البرهان في الاصطلاح، فهو: «القياس المؤلف من اليقينيات سواء كانت ابتداء، وهي الضروريات، أو بواسطة: وهي النظريات»(3)،وعرفه صاحب الكليات بقوله: «البرهان: الحجة والدلالة»(4)، وفي كشاف اصطلاحات الفنون، يقول التهانوي في تعريفه: «البرهان: بالضم وسكون الراء المهملة بيان الحجة وإيضاحها»(5).

توضيح القاعدة:

إنه من المسلم أنه ليس في مقدور الإنسان أن يأتي بما لا يستطيعه في جميع المجالات، وقد علم أن بين علماء الأمة اتفاق على أنه لا تكليف بما لا يطاق، ولذلك جاءت الرخص الكثيرة التي قد تصل أحيانا إلى إسقاط هذه التكاليف عن الإنسان؛ كالإفطار في نهار رمضان لسفر أو مرض، وكإتيان المحرم للاضطرار، وغير ذلك.

ومسألة بيان الحق للناس وعرضه عليهم معززا بحجج وبراهين، مسألة تندرج تحت هذه القاعدة، لا تخرج عنها، فإنك إن عرضت الحق على أحد فلم ينصع له ولم يمتثل وطالب بإتيانك بما لا تستطيعه حتى يقتنع، فإن ذلك لا يقدح فيما ذهبت إليه. «فليس على المرء أكثر من نصر الحق وتبيينه، ثم ليس عليه أن يصور للحواس أو في النفوس ما لا سبيل إلى تصويره، ولا صورة له أصلا»(6)، والله ﷻ قد بين في كتابه الكريم مهمة الرسل؛ في تبليغ الحق وبيانه، ثم لا يهمهم بعد ذلك جحود الجاحدين وعنادهم، فقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾(المائدة: 92)، وقال أيضا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾(النحل: 35)، وقال سبحانه مخاطبا رسوله الكريم ﷺ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾(النحل: 82)، وقال سبحانه على لسان رسل القرية: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾(يس: 17).

والمتأمل فيما ذكر من الآيات يجد قوله تعالى: ﴿البلاغ المبين﴾ قد تكرر في سائرها، وذلك إنما يدل على ضرورة التبليغ مقرونا بالبيان، ومن البيان إقامة الحجة على حسب الاستطاعة، وقولي على حسب الاستطاعة، يدل عليه أصل رفع الحرج؛ إذ من الحرج أن يكلَّف المرء بإقامة حجة ليس في استطاعته إقامتها.

وجميل أن أذكر ما قاله ابن حزم لما طالبه أحدهم بأن يريه العرض منعزلا عن الجوهر قائما بنفسه حتى يصدق به، وبعد أن أقام الحجة والبرهان على استحالة ذلك ولم يقتنع السائل بكل ذلك، قال: «... فليس مثل هذا التكليف الفاسد وكون المرء لا تتشكل له الحقائق بقادح في البرهان، ولا بملتفت إليه، وكفى من ذلك وحسبنا قيام صحة ذلك في النفس بدلالة العقل على أنه حق فقط، ولو جاز لكل من لا يتشكل في نفسه شيء أن ينكره لجاز للأخشم أن ينكر الروائح والذي ولد أعمى أن ينكر الألوان، ولنا أن ننكر الفيل والزرافة وكل هذا باطل»(7).

والقاعدة ستظهر بجلاء حين الحديث عن تطبيقاتها في القرآن الكريم فلكم التطبيقات بحول الله؛

تطبيقات القاعدة في القرآن الكريم:

جاء في محاججة مشركي قريش لرسول الله ﷺ أنهم طالبوه بأن ينزل معه ملائكة من السماء ليشهدوا على ما جاءهم به في قوله تعالى: ﴿لَّوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلاَئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(الحجر: 7)، وفي آية أخرى قالوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيرا﴾(الفرقان: 21)، وفي آية أخرى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ﴾(الأنعام:8)، فإنهم قد طالبوا رسول الله ﷺ بأن ينزل معه ملائكة من السماء كبرهان على صدق نبوته وما جاء به حتى يحصل التصديق في أنفسهم فيومنوا به، وهذا مما ليس في مكنته ﷺ، وإنما هو مبلغ عن ربه ما أمره بتبليغه، من هنا إذن؛ فإن ما طولب به النبي المصطفى ﷺ ليس بقادح فيما قدمه من براهين وحجج على صدق نبوته.

ومما طولب به النبي ﷺ أيضا ولم يكن قادحا في صدق رسالته التي أرسل بها؛ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾(العنكبوت: 50)، والرد عليهم واضح في هذه الآية؛ فإنما هو رسول منذر مبين لما أنزل عليه وليس في مقدوره واستطاعته أن ينزل الآيات من عند ربه فإن ذلك من أمر الله ﷻ. ثم إنه -سبحانه- لما أورد مطلبهم وأرشد نبيه الكريم في كيفية الرد عليهم، أنكر عليهم إعراضهم عن الكتاب الذي أنزل عليه كبرهان قاطع على صدق نبوته وذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(العنكبوت: 51).

وحينما واجه موسى عليه السلام فرعون بالآيات البينات طالبه بما حسبه حجة على موسى بقوله: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾(الزخرف:53)، فهل في مقدور موسى عليه السلام أن يجعل السماء تمطر عليه أساورة من ذهب أو يأتي معه بالملائكة مقترنين؟. فهذا مما لا يقوله عاقل ولا يطالب به ذو لب، ولكن فرعون استخف قومه فأطاعوه.

وهؤلاء قوم صالح عليه السلام لما نصح لهم وأبلغهم رسالات ربه، فعقروا الناقة علوا منهم واستكبارا واستخفافا بأمر الله، ﴿وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(الأعراف: 77)، فهل في استطاعة صالح عليه السلام أن يأتيهم بالعذاب الذي حذر منه، كبرهان على صدق رسالته؟، بل إن ذلك من أمر الله ﷻ، ولذلك لما أخذتهم الرجفة رأينا صالحا عليه السلام تولى عنهم، ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾(الأعراف: 79).

وهذه قريش تطالب الرسول الكريم ﷺ، بما يستحيل عليه تحقيقه والإتيان به، لطبيعته البشرية إذ قالت له: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾(الإسراء:90-93)، وهل يستطيع ﷺ أن يأتي بكل هذا كبرهان على صدق نبوته؟، ولذلك قال لهم بعد هذه المطالب العجيبة: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾(الإسراء:93)، إنما أنا رسول أبلغ ما أمرت بتبليغه وأبين ما أمرت ببيانه لا أقل ولا أكثر، فكيف تطالبونني بما لا طاقة لي به، وليس من شأني أن أفعله؟.

فهل كانت مطالباتهم هذه قادحة في حجة نبي الهدى ﷺ؟، أبدا، ولم تخدش خدشة واحدة في صدقه ﷺ ولا في برهانه، حتى قال فيه أبو جهل بعدما عرف وتيقن قوة برهانه وحجته: «... تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا، ولا نصدقه».

خاتمة:

من هنا إذا تقررت هذه القاعدة لدى أهل الجدل والمناظرة أخذا بمنهج القرآن الكريم في إقرار الحق وإبطال الباطل؛ فإننا لم نؤمر بإحداث المعجزات ولا بأن نأتي بما لا نستطيعه حتى يأخذ المخالف بمقالنا ودعوتنا، وإنما الذي أمرنا به أن نحق الحق ونبطل الباطل بحسب الاستطاعة، والحق في نهاية الأمر أبلج ينبئ عن ذاته بذاته.

---

1 – لسان العرب: 5/3541.
2 – نفسه: 1/271.
3 – معجم التعريفات للجرجاني، ص: 40.
4 – الكليات للكفوي، ص: 248.
5 – الكشاف للتهانوي: 1/234.
6 – منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، للدكتور عثمان علي حسن: 2/ 729.
7 – تقريب المنطق لابن حزم، ص: 192–193، نقلا عن منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، للدكتور عثمان علي حسن:2/ 730–731.
8 – دلائل النبوة للبيهقي، ص: 267.

مناهج تدريس اللغة العربية في التعليم وآفاق التغيير

د. لطيفة الوارتي

واقع العربية في تعليمنا.

بعد استقراء واقع اللغة العربية في مؤسسات التعليم تبين أنها تعيش مأساة بين أبنائها وفي عقر دارها. فهناك تشتت لغوي ذريع في المدارس والمعاهد والجامعات حيث رسَخ في أذهان التلاميذ والطلبة والمعلمين والمؤطرين أن العربية جامدة عقيمة لا تصلح للتقدم، فهي للشعر والأدب فقط.

أهي أزمة لغة أم أزمة منهج؟

فإذا كانت أزمة لغة فهي نابعة من أمرين: من أهلها ومن ظروف خارجة عن نطاقها.

فمن حيث الأهل فهم ينظرون إليها نظرة ازدراء واحتقار حيث يتكلمون بلغة أجنبية راقية،لأن أصحابها ذوو تقدم وتطور، وهنا نسأل: مَن الذي تقدم ويتقدم هل اللغة أم الإنسان؟ من الذي صعد إلى القمر وغاص في أعماق البحار واخترع فوق الأرض ما لا يخطر على بال أحد من الآلات والأجهزة؟ هل الإنسان أم اللغة؟

وأما من حيث الظروف الخارجية فتتمثل في الاستعمار الذي عانت منه دول العالم الإسلامي والعربي الذي رسّخ في القلوب وعمّق في العقول أن العربية لا تصلح للتقدم فهي لغة الكتب الصفراء والمخطوطات.

أما الشق الثاني المتعلق بالمنهج المُتّبع في تدريس هذه اللغة والتعليم بها فمما استخلص منه أن هناك:

- رؤية منهاجية غير متكاملة.
- تعدد الكتب وتنوع المضامين.
- كثرة المواد وعدم الربط بينه.
- الضعف اللغوي والمعرفي باللغة العربية للمعلمين والمدرسين.
- فشل المقررات الدراسية في الرفع من مستوى اللغة العربية.

هذه الأسباب وغيرها أورثت لغة ضعيفة باهتة على ألسنة أبنائها، وجملة من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية، ورداءة في الخط والكتابة، وركاكة في الأسلوب، وضَعفا في الصيغ، ومشكلات في القراءة الجهرية، وقصوراً في الفهم والاستيعاب.

فما العلاج إذن؟

إصلاح لغة أم إصلاح منهج.

الإصلاح قضية كونية للاستمرار والسير قدما فما الذي يجب إصلاحه هل اللغة أم المنهج؟

فإذا كانت اللغة فما الجوانب التي ينبغي إصلاحها فيها؟

هل القواعد النحوية أم الإملائية أم البلاغية أم الأسلوب أم الصيغ؟ فهذه المقومات من الثوابت التي لا تُمَسّ ولا تتغير بتغير الزمان والمكان والأهل، لأن هذه اللغة أخذت مشافهة من أهلها فيستحيل أن يُمَسّ أي ركن فيها فقواعدها استنبطت منها. وإن فعل ذلك فسيحكم على اللغة بالانقراض والموت الأبدي.

وأما ما يخص المناهج المدرسية فما الذي يجب إصلاحه فيها ؟

يجب القيام بمجموعة من التدابير واتخاذ قرارات حاسمة للرفع من قيمة هذه اللغة وتحسين التعامل بها من ذلك:

- الاستفادة من الأسلوب التكاملي في إنجاز الكتب المدرسية.
- ربط المقرر بوسائل التأثير الحديثة.
- حصر المواد المدروسة في عدد معقول يناسب سِنَّ المتعلم وقدرته الاستيعابية.
- تدريب المتعلمين على التكلم باللغة العربية.
- تكوين معلمين أكفاء يكونون قدوة ونموذجا للتدريس باللغة العربية في جميع التخصصات.
- إنجاز معجم يتناول الكلمات الحديثة في جميع التخصصات الطبية والهندسية والتقنية.
- تعريب العلوم في المدارس التقنية والهندسية والطبية.

فما السبيل للتغيير نحو الأفضل؟

المعروف أن مستقبل التعليم هو مستقبل الوطن لذلك يجب الانتقال من الجانب النظري إلى التطبيقي داخل الأسرة وخارجها.

- في داخل الأسرة:

حب اللغة وتحبيبها للأطفال منذ نعومة أظفارهم.

التكلم بها واستخدام مفرداتها لتعويد الأسماع.

وفيما يتعلق بمناهج التدريس:

- تأليف كتب مدرسية بلغة فصيحة سهلة تراعي التطور والتغير.
- التركيز على مقومات اللغة: النحو والصرف...
- غرس الاعتزاز بهذه اللغة والافتخار بها والتكلم بها أمام أي كان ويذكرني هذا المقام بموقف للرئيس الفرنسي حين كان في اجتماع مع رجال الأعمال الفرنسيين فتكلم أحدهم بالإنجليزية فخرج الرئيس غاضبا دون ان يكمل الاجتماع.
- الانتقاء من التراث ما ينمي القدرات اللغوية والمهارات.
- حرص الجهات التربوية والتعليمية على إبراز أهمية العربية.
- إنشاء مركز عام للترجمة يدعم ماليا ورسميا برسوم محددة.
- قضايا التعليم يجب أن تُسْمع من التلاميذ والطلبة والباحثين والمدرسين لا من المسؤولين فقط.

لأننا لا نريد خريجاً فاشلا تافها لا قيمة له، بل نريد خريجا قادرا على تحمل المسؤولية، ويحمل هم الوطن ويستطيع أن يكون شريكاً فعّالاً في بناء لغته ومستقبل وطنه.

أمام هذا الوضع، علينا أن نسلك الطريق الذي سلكته أمم غيرنا حين أدركت أن البعد عن لغاتها الأصلية هو بعد عن ذاتها وانسلاخ عنها، وأن عزل لغاتها وإبعادها عن أن تكون وسائل التعليم في كل مراحله، هو قتل مبرمج لهويتها.

- فعلى أبناء اللغة العربية العمل كل من موقعه للحفاظ عليها، وصيانتها، معتبرين الدفاع عنها دفاعا عن النفس والعرض.

وأخيرا رغم ما تتعرض له العربية فإن قيمتها ومكانتها تبقى ممتدة شامخة تقصر همم الحاقدين عليها عن بلوغ أهدافهم. فالله تعالى يهيئ للعربية منّا أو من غيرنا من يواصل رسالته الجليلة في الدفاع عنها في قوة واقتدار وحماية لها. وللإسلام.

المصادر والمراجع المعتمدة:

-اتجاهات الشباب نحو استخدام اللغتين العربية والإنجليزية في التعليم، لريما سعد، 2004.

- أهمية التربية في نجاح الفرد وتقدم المجتمع، لعبدالعزيز بن عبدالله السالم.

-أي تعليم نريد فساد ينتشر وتخطيط يغيب، جاسم محمد الشمري، 2014/11/19، جريدة النهارالكويتية.

-تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية لزهير أحمد السباعي الدمام: نادي المنطقة الشرقية الأدبي. (1995).

-الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية أهم المحطات 2007—2013 إعداد: موسى الشامي ومصطفى شميعة، مطبعة أنفو، 2013.

-دور العربية في البعث المنشود بين الواقع والآمال، /3194/ البشير عصام.

-دور منهاج اللغة العربية في الحفاظ على الهوية العربية ومواجهة تحديات العولمة، عبد الله بن مسلم الهاشمي، مؤسسة الفكر العربي،المكتبة الرقمية.

-النقاش اللغوي والتعديل الدستوري في المغرب، فؤاد بوعلي، يناير 2012، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات.

-واقع حركة الترجمة ومستقبلها في الوطن العربي لشحاذة الخوري،مجلة الفيصل،عدد 309.

قرأت لكم

من ذاكرة المغرب المقاوم بمناسبة ذكرى معركة لهري "13 نونبر 1914"

من منا لم يسمع عن ذلك الرجل الشهم، بطل المقاومة بالأطلس المتوسط، حيث هناك زاوية تدعى زاوية اسحاق، كانت مركز إشعاع ديني كبير، وقد بلغ عدد الطلبة الذين درسوا بها كتاب الله حوالي أربعين ألفا، ومما قيل أن السلطان مولاي رشيد درس بهذه الزاوية. ومن الآثار الشاهدة بها مسجد كبير، يبلغ علو صومعته 18 مترا. (مجلة France Maroc 11 novembre1920).

إنه المجاهد موحا أوحمو الزياني نسبة إلى قبائل زيان بمنطقة خنيفرة، إنه أسد المقاومة الذي أعيا الفرنسيين وجيشهم المدجج بأحدث الأسلحة الفتاكة، فكان مصدر قوته الإيمان بالله وحده هو ومن معه من الجنود الأشاوس.

ومما قاله العدو عنه في هذا السياق: "لم يجد موحا أوحمو أدنى صعوبة في إقناع زيان بأن الله غاضب على وجود النصارى بخنيفرة، وإنه في انتظار انسحابهم المرتقب، فإن واجب كل مسلم هو إقامة حراسة مشددة حول ثكنة خنيفرة وجميع المراكز الأخرى، استعدادا للإنقضاض عليهم، عندما يأذن الله بذلك (من كتاب معركة لهري، د. محمد بلحسن، ص93).

فكان لزاما أن يصاحب سلاح الإيمان الأخذ بالأسباب ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ الآية حيث إن المجاهدين كانت لديهم أسلحة بالية، يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر، أوعلى قطع حديثة استطاعوا شراءها بأموالهم الخاصة، عن طريق التهريب، فلما بدأ الجهاد عمل القائد على تسليح زيان، معتمدا على ما كانت المقاومة تغنمه من أيدي أعدائها الإستعماريين، وهكذا لم يتعرف الزيانيون على البنادق الحديثة، إلا باحتكاكهم مع القوات الفرنسية وفي كتابه: TRENTE ANS DE BAROUD أورد بولو شهادة لا تحتاج إلى تعليق "هؤلاء المردة المغاربة كانو يتسللون تقريبا كل ليلة إلى المعسكر الفرنسي، "فيسرقون" منه البنادق بعد قتل الحراس، كانو يتسللون إلى داخل المعسكر عراة، بعد أن يطلوا أجسامهم بشحم ابن أوى، الذي لرائحته خاصية تخدير الكلاب، ولم يكن للواحد منهم سلاح سوى خنجر حاد. لا يحدثون بحركتهم أكثر مما تحدثه عادة ورقة يابسة في الريح، فلا أحد منهم يراهم، ولا أحد يسمعهم، وينجحون دائما تقريبا في أعمالهم".

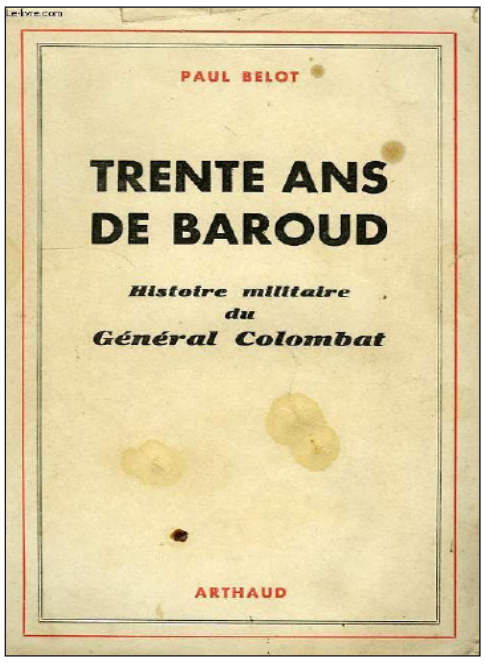

ويضيف لوبريفوست: "هنا في خنيفرة، تعرف المحاصرون على جرأة وحيلة هؤلاء الأشرار والذين كان همهم الوحيد أولا وقبل كل شيء هو التزود -على حساب المحتل-بأسلحة عصرية... كانو يتسللون ليلا إلى داخل المعسكر المكون من آلاف الرجال، فيذبحون الحراس سرا، ويقطعون الأسلاك الشائكة بكل هدوء كما كانو يتوغلون تحت الخيام ليسرقوا البندقية المربوطة مع ذلك في معصم رجل، ويسرقون مع ذلك حتى الخيل والشعير".

وقد أشاد الجنرال كيوم -الذي كان وقتها شابا، شارك في معارك الأطلس- رغما عن أنفه،بشجاعة المحارب بهذه المنطقة صراحة حيث قال: "إن استهانته بالموت كان يقوي كبرياءه... إنه محارب لا مثيل له... المتفوق بلا شك في أفريقا الشمالية" (من كتاب معركة لهري، د. محمد بلحسن، ص94 وما بعدها).

والخلاصة من هذه السطور... هي ذلك الأثر الشائع "اطلب الموت بعلم وبحق تأتيك الحياة والعزة والكرامة" إن في ذلك لعبرة لمن يخشى".

مسامير في نعش الإيمان

ذة. رجاء عبيد

تحدثني في لحظة تصاف بصوت تعانقه غصة الندم لتعترف بسرعة تبدد خيوط عزمها الواهنة؛ قائلة: أجدني يا صديقتي الغالية سرعان ما ينطفئ فتيل أوبتي فأعود لأسوء مما كنت عليه، وتبات الشيطان تشعرني بالضعف والهوان، أشعر بضجيج بداخلي يعلو صداه، فأحاول طرده، وانهزم أمام تعالي قهقهاته التي تجتهد في بث اليأس في أوصالي،

أشعر أن أبواب قلبي شرعت، وكسرت نوافذ وجائه، فغشاه دخان كثيف، وفقدت بوصلة البصيرة... فاضطربت جوارحي.. وانصرم اللجام....احترق واحترق، ولا يمكن لجروحي المندملة أن تلتئم بلا دواء ولا ضماد.

عودت لساني طقوسا قولية فأصبح يتحرك بخفة الاعتياد دون استئذان الفكر ليعبر عن أتفه الخواطر، فما فتئت أبحث عن موائد الأنس لنتفكه بنثانة اللحوم البشرية، مستعينة بسوء الظن الذي أضحى عندي نباهة.

سكتت هنيهة كيما تلتقط أنفاسها، وقالت: غربت شمس الحق في صدري، وتلاشت أشعتها، فخبأت قلبي في مغاور ظلمة الجهل، وحجبت الإيمان فيه بأكفان الغفلة، فما عاد خفوقا، ما درت عاقلتي آنئذ أن إيماني أسكنته نعشا، ودققت النعش بمسامير.....مسامير الغيبة وسوء الظن والعجب والأنانية والتيه.....

توقفت عن الكلام لتنوب دموعها المنهمرة عن البوح، وانتصبت إذ ذاك الى الانصراف؛ فأوقفتها قائلة: على رسلك أيتها الغالية؛مادامت في العين دموع الندم فما زالت في القلب حياة.وصدق الاعتراف ولوعة الندم ملاقط تزيل مسامير النعش، وصلاح الحال مقدمته استغراق في الندم، وعزم صادق على الأوبة؛ والنفوس يا صديقتي إن صفت من كدر الوقوف مع الطبع التحقت بمعالي الهمم، وبعالم أسمى لا تحس فيه بالتيه ولا بالضلال، بل ترتقي فيه مراقي النجاة.

قرأت بي سطور بوحك معان عميقة، فاعترافك بداية الطريق، ولتشمير سواعد الجد لابد من معرفة عمق الصدإ الذي تتركه المسامير، والذي لا ينجلي إلا بالتوبة النصوح التي تجمعها أشياء أربعة: استغفار باللسان، وإقلاع بالأبدان، وعدم الإصرار بالجنان، ومهاجرة سيء الخلان.

وأنا أحدث نفسي قبلك ناصحة: فما حرمت الغيبة الا لضراوة وقعها على الطبع، ولهيب أثرها على الخلق؛ فهي توقظ الغيظ والعداوة، وتثير اضطرابات النفس التي يزداد نهمها كلما فغرت الأفواه بذكر عيوب الغير أو بالشكوى منهم وتنقيصهم.

والغيبة يا صديقتي تستدعي سوء الظن فهو محضنها الذي ترتع فيه، وتكسو القلب بأحلاس خلقة فيبهت نور الإيمان فيه، فيصير كسبه حسرة.

والأوقات يا صديقتي أعطيات ثمينة إن لم نرعها سرقها الفراغ منا، وصرفناها في عبث ، لن نرتاح في ظله أبدا.

مدي يديك أيتها الغالية لنتواصى بالخير والحق و نتناصح في الله فما خاب أخلاء الصلاح ولا ضلوا، لأن محبة الله حقت للمتحابين فيه.

أعينيني على نفسك لنقتلع مسامير نعش الإيمان، ونزيل عنه الأكفان ، فتتجدد الحياة فيه بذكر الحنان المنان.

دراسات ميدانية تبرز أثر لباس العفة في حماية المرأة 2/2

وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن ارتداء الحجاب له آثارٌ إيجابية على صحة المرأة النفسية والجسدية، يقول فيرين سوامي -عالم النفس بجامعة وستمنستر- : "كانت هناك ثلاث أو أربع دراسات سابقة تظهر أن أصحاب الملابس المحافظة المحتشمة لديهم صورة ذهنية صحية عن أجسامهم" وأكد أنّ النساء المحجبات -اللواتي شملهن استطلاع للرأي- كانت وجهات نظرهن أكثر إيجابية لأجسادهن فقد أعْربن عن تقديرهن لأجسادهن، ولم تكن لديهن نفس الرغبة في خسارة الوزن، ومعايير الجمال التي كانت تروّج لها وسائل الإعلام لم تكن تستهويهنّ. ولهذا فهو يرى أن الحجاب «يوفر نوعًا من الحماية ضد تشيؤ المرأة وحصرها في قالب جنسي».

كما أثبتت الدراسات العلمية أن الحجاب "يحافظ على الطاقة الحرارية في الجسم، ويحمي شعر المرأة من التغيرات المناخية والأشعة فوق البنفسجية التي تضر بالأنثى أكثر من الذكر، وذلك لأن سمك طبقة الدهون تحت جلد المرأة أعلى من سمك طبقة الدهون تحت جلد الرجل. والأشعة فوق البنفسجية تتفاعل مع هذه المواد البروتينية تحت الجلد وتؤدي إلى أمراض متعددة منها سرطانات الجلد، وتساقط الشعر، ومنها تقيحات أحيانًا في فروة الرأس، كما يؤدي إلى جفاف الشعر". يقول الدكتور محمد ندا: «الحجاب حماية للشعر.. فقد أثبتت البحوث أن تيارات الهواء، وأشعة الشمس المباشرة تؤدي إلى فقدان الشعر لنعومته، وشحوب لونه، فتصبح الشعرة خشنة جرباء (باهتة)، كما ثبت أن الهواء الخارجي (الأوكسجين الجوي)، وتهوية الشعر ليس له أي دور في تغذية الشعر، ذلك أن الجزء الذي يظهر من الشعر على سطح الرأس وهو ما يعرف بقصبة الشعر عبارة عن خلايا قرنية ليس بها حياة).

وحتّى لو لمْ يُثبت العلم شيئًا من هذه النتائج، فيقيننا نحن كمسلمين أنّ «جلبُ المصلحة ودرءُ المفسدة» قاعدةٌ أساسٌ في ديننا الحنيف وعليها مدار الأحكام الشرعية، لهذا فالمؤمن على يقين تامٍّ أنّ مأمورات الله جل وعلا تحوي في طياتها خير الدنيا والآخرة، ومنهياته وبالٌ على من اقترفها.

ولأنّ زمننا هو زمنُ التّحرش بامتياز، فإن الحجاب الحقيقي خير حافظ للأنثى من هذا السوء. وقد اطلعتُ مرّة على فيديو يعرض تجربةَ تحرش بفتاة بروسيا تَظهر مرة محجبة وأخرىَ سافرة، والمثير في التجربة أن غير المحجبة لم يأبه بها أحد وهم يبصرونها تُهان من طرف ذاك الشاب، فكأنّ لسان حالهم يقول: «ذاك شأنها هي تستحق». لكن المحجبة في كل مرة كانت تجد شبابا مسلما يدافع عنها، وكأنها بحجابها تحمل رسالة ناطقة تصرخ في العابرين أنها ليست للعموم، وأنّها ملكُ شخصي يُحظر لمسه أو ابتذاله. فأكد أصحاب الفيديو -عن قصد أو عن غير قصد- أن الحجاب الشرعي صيانة للمرأة من التحرش، ولباسُ وقارٍ يزيدها هيبةً ويُسخّرُ الله به جُنْداً للذودِ عنها.. فهَلاّ استمسكتِ بغرزه أختاه!!

وحسبكِ نداء الاستغاثة هذا ممن ذاقت ويلات الابتذال، وتجرّعت مرارة الضياع والهوان. تقول الصحفية والكاتبة الأمريكية جوانا فرانسيس: « فلا تسْمحنَ لهم بخداعكنّ، ولتظل النساء عفيفات طاهرات .. نحن بحاجة إليكن لتضربن مثلا لنا لأننا ضلَلْنا الطريق. تمسّكنّ بطهارتكنّ، وتذكّرْنَ أنه ليس بالوسع إعادة معجون الأسنان داخل الأنبوب. لذا فلتحرص النساء على هذا المعجون بكل عناية».

ونقل الرافعي في «وحي القلم» ما كتبته كاتبة إنجليزية زارت مصر وانبهرت بما رأته من مظاهر الحجاب بين النساء، فكتبت مقالة بعنوان (سؤال أحمله من الشّرق إلى المرأة الغربية) قالت فيه :

«إذا كانت هذه الحرية التي كسبناها أخيرًا، وهذا التنافس الجنسيُّ، وتجريد الجنسين من الحُجُب المشوِّقة الباعثة، التي أقامتها الطبيعة بينهما، إذا كان هذا سيُصبح كلّ أثره أن يتولّى الرّجال عن النساء، وأن يزول من القلوب كل ما يحرّك فيها أوتار الحبّ الزوجي، فما الذي نكون قد ربحناه؟ لقد والله تضطرنا هذه الحال إلى تغيير خططنا، بل قَد نستقرّ طوعًا وراء الحجاب الشرقي، لنتعلم من جديد فنّ الحبّ الحقيقيّ».

ذة. لطيفة أسير

وضحة

ميراث...

كم فكرتْ ودبّرت واستعدت لهذه اللحظة..

ظلت تلحّ على زوجها طويلا أن يهب البيت ذي الطابقين لابنتيْهما.. لئلا يرث معهما أعمامهما وعمّاتهما..

جاء أحماؤها.. سيطالبون بحقهم في الميراث.. ظنت..

قدّم لها حموها الأكبر وثيقة إدارية وقال:

" هذا تنازل منا لك ولابنتيْك على حصتنا في الإرث... !"

طأطأت رأسها خجلا ..تأتأت.. ماذا ستقول لهم؟!

باعت البنتان الدار.. اقتنت إحداهما شقة صغيرة ..

وأقامت الثانية مشروعا تجاريا صحبة زوجها..

وجدت نفسها بلا مأوى .. تفترسها الوحدة والشيخوخة والمرض...

تعللت ابنتها الأولى بعذرها:

"شقتي صغيرة.. بالكاد تكفينا أنا وزوجي وأبنائي الثلاثة..!"

واعتذرت الثانية:

"زوجي يحب أن نعيش مستقليْن في بيتنا..!"

بحثت عن إيجار بيت صغير.. لكن راتب معاش زوجها لا يكفيها حتى لشراء أدوية أمراضها المزمنة...

باعت حليها البسيط وبعض أغراضها.. اكترت غرفة صغيرة في حي هامشي..

ثار أحماؤها غضبا... قال كبيرهم:

"لسنا رجالا إن تركناك في الشارع... ستعيشين معززة مكرمة في بيت مستقل.. وبيوتنا مفتوحة لك...!"

حاولت أن تعتذر لهم، فلم تستطع.. تتجرع الندم .. ليتني لم ألح على زوجي رحمه الله ليهب البيت لابنتيَّ..!

بقلم :

ذة. نبيلة عزوزي

جوائز علمية هامة للباحثين في تدبر القرآن الكريم في اختتام المؤتمر العالمي الثاني لتدبر القرآن الكريم بالدار البيضاء

اختتم المؤتمر العالمي الثاني لتدبر القرآن الكريم بالدار البيضاء أشغاله عصر يوم 2015/10/29 بحفل تسليم الجوائز على الفائزين بخدمة تدبر كتاب الله وإصدار توصيات للمعنيين بمتابعة العمل في هذا المجال بغية تنميته وتحسين نتائجه وآثاره في حياة المسلمين.

وخصص المنظمون عددا من الجوائز للعاملين في مجال التدبر ممن قدموا بحوثا ودراسات متميزة أو برامج عملية أو إعلامية هادفة، كما تم تكريم عدد آخر من المساهمين في هذا المجال.

وتشتمل جوائز المؤتمر التي قدرت قيمة مجموعها بستين ألف دولار (60 ألف دولار) على أربعة فروع هي: جائزة خدمة التدبر، وجائزة البحث العلمي، وجائزة المناهج التعليمية، وجائزة الأفكار الإعلامية في موضوع التدبر. وتم حجب الجائزة التي كانت مخصصة لفرع المقاطع المرئية لعدم استيفائها للشروط المطلوبة.

وفي هذا الصدد قال الشيخ ناصر بن سليمان العمر رئيس الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم إن هذه الجوائز والتكريمات ليست إلا تعبيرا عن شعورنا بالجهود المبذولة في سبيل القرآن الكريم، وهي في الوقت نفسه تشجيع لكل من يعمل في هذا الميدان راجين أن تكون عاجل بشرى هؤلاء المؤمنين بالفوز في الآخرة إن شاء الله تعالى.

وأضاف الشيخ العمر في تصريح صحفي، هذه الجوائز تم توزيعها على مستحقيها وفقا لما حددته «لجنة تحكيم تم اختيار أعضائها من خارج الهيئة المنظمة، من العلماء الذين نثق في علمهم واستقلالهم». وأضاف الشيخ العمر أن بعض الفروع التي كانت مدرجة في التباري تم حجب الجائزة عنها مما يعني إنصاف الجائزة واستقلاليتها.

وفي ما يلي قائمة الجوائز ومستحقيها كما أعلنت في نهاية الجلسة الختامية للمؤتمر:

جائزة خدمة التدبر

– الجائزة الأولى للشيخ فريد الأنصاري رحمه الله تعالى/ المغرب تسلمها ابنه الشيخ أيوب الأنصاري.

– الجائزة الثانية للشيخ محمد زحل/ المغرب.

جائزة البحث العلمي

– الجائزة الأولى للدكتور عبداللطيف التويجري/ السعودية عن بحثه «تدبر القرآن الكريم.

– الجائزة الثانية للدكتور أحمد عامر الدليمي/ العراق عن بحثه « أمثلية التدبر القرآني».

– الجائزة الثالثة للدكتورة غنية النحلاوي/ سوريا وقد تعذر حضورها إلى المؤتمر.

جائزة المناهج التعليمية

– الجائزة الأولى للدكتور شريف طه يونس/ مصر.

– الجائزة الثانية للدكتور حسن أبو سعدة / مصر عن عمله دورة في مبادئ التدبر.

– الجائزة الثالثة منحت مشاركة بين السيد محمد الفيلالي والسيد أحمد العمراني / المغرب عن عملهما المشترك «معالم منهج تعليمي للتدبر».

جائزة الأفكار الإعلامية

– الجائزة الأولى للسيدة سمية رمضان تنيو / الجزائر عن فكرة معرض تدبر القرآن الكريم.

– الجائزة الثانية للسيد محمد جابر داوود / مصر عن فكرة إنتاج عمل مرئي لتدبر سورة الفاتحة.

وخلال هذه الجلسة تم أيضا تكريم عدد من العلماء والباحثين في مجال التدبر كان منهم مولاي أحمد بنعمر والشيخ جلال عويطا والسيد صالح حيربي مدير شركة فضاء السياحة المتعهد الرسمي للمؤتمر.

توصيات المؤتمر:

في ختام المؤتمر شكر المنظمون والمشاركون كل الجهات التي سهرت على تنظيم هذا المؤتمر خاصة المملكة المغربية لاستضافتها هذا المؤتمر من خلال جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء وتسهيل إجراءات تنظيمه وأيضا إلى حكومة المملكة العربية السعودية على عنايتها بكتاب الله تعالى، وعلى دعمها للجهود المبذولة في خدمته، وخاصة ما يتعلق بتدبّر القرآن والعمل به، كما تم تقديم الشكر لحكومة دولة قطر لاحتضانها وتشجيعها للهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم.

وخلص المشاركون في المؤتمر إلى عشر توصيات، هي:

• تحديد الهيئة العالمية لتدبر القرآن لتعريف واضح و شامل لمصطلح التَّدبُّر.

• الاستفادة من مناهج السلف وكبار المفسرين في تدبر القرآن الكريم، ونشرها بين الناس.

• التحذير من الطُّرق المنحرفة في تدبر القرآن الكريم، التي لا تلتزم بشروطه وضوابطه.

• التركيز في المرحلة القادمة على حل الإشكالات وتصحيح المفاهيم الخاطئة للتدبر.

• ابتكار أساليب عمليّة معاصرة لتربية المسلمين على تدبر القرآن الكريم.

• دعم التجارب الناجحة في تدبر القرآن الكريم وإشاعتها بين الناس.

• توظيف تدبر القرآن الكريم في تبني منهج الوسطية «أمة وسطا» وحماية الشباب من الانحراف الفكري والسلوكي، وتقوية إيمانهم وتهذيب نفوسهم وبخاصة حمايتهم من الغلو والجفاء.

• عقد المزيد من المؤتمرات والملتقيات العلمية لنشر تدبر القرآن بين المسلمين.

• تفعيل الإعلام الجديد في نشر تدبر القرآن وإبلاغ رسالة القرآن بلغة تناسب عامة المسلمين الناطقين بالعربية وغيرهم.

• ضرورة التنسيق بين المؤسسات والهيئات القرآنية في جميع البلاد الإسلامية، لتحقيق الشمول والتكامل فيما بينها.

وشدد المشاركون في المؤتمر، الذي يأتي أيضا في سياق العمل لتجسيد الأهداف التي رسمتها الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، وتطبيق توصيات المؤتمر العالمي الأول الذي نظم في الدوحة عام 2012م، على ضرورة الارتقاء بمستوى الأبحاث والأعمال في مجال التدبر إلى مستوى يعود على المسلمين بالخير والبركات القرآنية.

وتخلل المؤتمر الذي امتد على مدى يومين كاملين تنظيم عدة ورشات عمل وحلقات نقاش ودورات تدريبية ومحاضرات في الفترة المسائية حول محاور المؤتمر وموضوعاته المتنوعة عن التدبر، بالإضافة إلى معرض خاص بالإنتاج الفكري والتدريبي حول التدبر شارك فيه عدد من المؤسسات المهتمة بالدراسات والأبحاث القرآنية.

يذكر أن المؤتمر حضره أزيد من خمس مائة شخص من جنسيات مختلفة وتم خلاله تقديم واحد وعشرين بحثاً توزعت على خمس جلسات علمية قدمها وناقشها باحثون متخصصون ومهتمون بموضوع تدبر القرآن الكريم من مختلف البلدان العربية والإسلامية.

ويأتي المؤتمرَ العالمي الثاني لتدبر القرآن الكريم في مدينة الدار البيضاء المغربية في سياق أحوج ما تكون الأمة فيه إلى تدبر القرآن الكريم وفهم صحيح لمضامينه الشريفة وتجسيد معايير الإسلام الحنيف في حياة المسلمين وتجنب عوامل الفرقة والهوان والاهتداء إلى سبيل التقدم والسلام.

خروق في سفينة المجتمع

62 – القضايا الزائفة

د. عبد المجيد بنمسعود

من الأهمية بمكان، التمييز في سياق وجودنا الاجتماعي بين خروق مباشرة لسفينة المجتمع، وأخرى غير مباشرة، ولا فرق بين النوع الأول والنوع الثاني من حيث الخطورة إلا في الأسلوب الذي يحدثه كل منهما وهو يمارس تهديده لكيان السفينة، والذرائع المادية أو الفكرية التي يتخذها مطية لذلك التهديد.

ولعل مما يميز الخروق غير المباشرة أنها قد تتخفى وراء شعارات خادعة، تلبس لبوس الفكر الفلسفي والسوسيولوجي، أو تتلفع بالخطاب

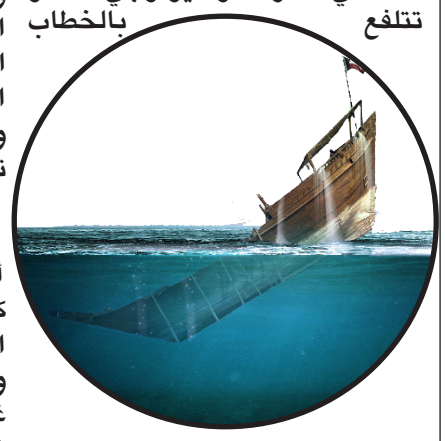

الحقوقي، ولو في صيغهما السطحية الفجة، الأمر الذي لا يتردد معه اليقظون العقلاء من أهل الفكر المنهجي الرصين،أو الباحثين في علم المنهج، في إدراج القضايا التي تحمل في سياقها الخروق المذكورة تحت نوع «القضايا الزائفة».

بل إننا قد لا نعدو الحقيقة والحق، إذا ما حكمنا على نوع الخروق الذي تمثله تلك القضايا الزائفة، بأنها أشد تهديدا وأبلغ أثرا في تصدع بناء السفينة، لما تجره عليها من بلاء مزدوج، يتمثل أحد شقيه في ما تورثه القضايا الزائفة من تشويش وبلبلة يلحق شرائحها، بفعل ما تبثه في أوساطها من سموم الأغاليط، وتنشره من شكوك ومخاوف وأراجيف، ويتمثل شقه الثاني فيما يخلفه من اختلال على مستوى منهج التفكير، والتعامل الرشيد مع مشكلات الواقع وقضاياه الحقيقية، من حيث صحة الفهم والاستيعاب، ودقة التحليل والمعالجة، وصواب ما يوضع من بدائل وحلول.

إن من يقذفون سفينة المجتمع ويرشقونها صباح مساء، بوابل من القضايا الزائفة، يرتكبون جرما شنيعا في حق الشعب، لأنهم بذلك الصنيع يتسببون له في شتات العقل وضياع الطاقة، ويصرفونه عن توجيه تلك الطاقة وذلك العقل إلى المشكلات الواقعية والقضايا الحقة، ومن ثم فهم يمثلون عقبة كؤودا في طريق التنمية، وسببا صريحا في ما يعانيه المجتمع من تخلف وجمود.

إننا لو قمنا برصد للمعارك والسجالات التي تخوضها فئة عريضة ممن ينسبون لمجالات الثقافة والفكر ضمن تيار الحداثة والعلمنة، لأصبنا بالذهول، وبالخيبة والاشمئزاز بعد ذلك، لما يعتري أغلبها من زيف وافتعال، ودونك أمثلة لذلك ما أحدثه ويحدثه أصحاب ذلك التيار من صخب وضجيج، بل ومن صياح وعويل، وحتى ندب ولطم للوجوه، جراء ما يطرحونه في سوق المساجلة والنقاش، من قضايا يحسبونها حقة فإذا هي عين الزيف والاختلاق، وذلك من قبيل قضية الإجهاض، وقضية المساواة في الإرث، وقضية الحرية في اللباس، التي رفع لها شعار «صايتي حريتي»، وقضية الإفطار علانية في رمضان، تحت شعار«مصايمينش»، وقضية الدعوة لاستعمال الدارجة في التدريس، وما إلى ذلك مما من شأنه أن يزج بالمجتمع في أتون حرب كلامية يضطر فيها الشرفاء بدافع الوفاء، وواجب المنافحة عن الحق، ورد الأمور إلى نصابها، إلى دخول غمارها، وهم يمتلئون أسفا ويتميزون غيضا، جراء النزيف الناجم عن تلك الحرب المفروضة على المجتمع ظلما وعدوانا، وكذبا وبهتانا، والحال أنهم في حل منها ومن عقابيلها وتداعياتها المدمرة، لو لم يبتل بفئة تسيء إلى الشعب، وتبدد ثروته، وتنتهك ميراثه، وهي تحسب أنها تحسن صنعا.

ولو أن هؤلاء المقتاتين من القضايا الزائفة تصالحوا مع الذات وآبوا إلى كلمة سواء، تجمعهم مع الأصلاء، وتعيدهم إلى منهج التفكير البناء، لوفروا على الأمة كثيرا من الجهد الذي حقه أن يصرف في معالجة القضايا الحقة، والمشكلات الواقعية المزمنة، مما يرزح تحت نيره الناس، وتنوء بثقل مياهه الراكدة سفينة المجتمع، وذلك من قبيل مشكلة التربية والتعليم التي تحولت إلى معضلة تحتاج إلى استنفار طاقات الجميع، ومشكلة انحطاط القيم، وتفكك الأسرة، واهتزاز البناء الاجتماعي، ومشاكل الفقر والأمية والمرض التي تقض الجميع، ومشكل الأمن الذي يؤرق الصغير والكبير، ويخلف جراحا تنزف على مدار الزمن، وهلم مشاكل ومعضلات.

إنه بلاء كبير وشرخ عظيم أن يوجد على ظهر سفينة المجتمع من يريد بها سوءا وشرا، وسيان أن يكون ذلك بوعي أو بغير وعي، فالعبرة بالنتائج والمآل، وبما يتهدد السفينة من خطر المحق والاستئصال، وصدق الله القائل سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف:103، 104).

د: عبد القادر لوكيلي

الشرق الأوسط من منظور أمريكي...

مجرد رأي

. . . .في جلسة الاستماع أمام الكونكرس الأمريكي الاخير ، ركزت السيدة «آن باترسون» السفيرة الأمريكية في القاهرة في مداخلتها على ثلاثة محاور أساسية تلخص السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط والبلاد الإسلامية بصفة عامة .

• أولويات الإدارة الأمريكية تحولت من دعم الديموقراطية في العالم إلى محاربة الإرهاب خلال السنوات الثلاثة الأخيرة . . . وسبحان مقلب الأحوال بالضبط منذ أن بوأت صناديق الاقتراع الديمقراطية حركات الإسلام السياسي مقاليد الحكم في عدد من الدول الإسلامية ، وفي القلب منها مصر باعتبارها دولة محورية في العالم الإسلامي والعربي . . . أما سبب هذا التحول المريب ، تضيف «آن باترسون» هو أن هؤلاء الحكام الجدد (الإسلاميين) حولوا توجهات دولهم من العمل على ترسيخ الديموقراطية والعلمانية إلى ترسيخ الإيديولوجيا الدينية ؟؟؟ نفس السبب الذي صرح به قائد الانقلاب في مصر مباشرة بعد اختطاف الرئيس الشرعي الدكتور محمد مرسي . . . حيث قال يومها «لقد عزلنا مرسي لأنه كان بصدد إعادة الخلافة الإسلامية» . . . وسبحان الله تشابهت قلوبهم وأقوالهم معا .

• تحويل العقيدة العسكرية للجيش المصري من حماية الحدود والسهر على الانتخابات إلى محاربة الإرهاب . والمقصود بالإرهاب هاهنا هو ذلك الذي يهدد أمن واستقرار إسرائيل أي بالعربي الفصيح «إرهاب» المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها حركة حماس وجناحها العسكري . . . ترجمة هذا الأمر ظهرت جليا من خلال أمور عدة بدأت مباشرة بعد الانقلاب على الشرعية في مصر ومنها :

– تجريف مئات المنازل المحاذية لقطاع غزة وتشريد أهلها من السيناويين الأحرار مع تقتيل خيرة شبابها بتهم واهية .

– إغراق غزة بمياه البحر عبر الأنفاق التي تعتبر شريان حياة أهل غزة المحاصرين أصلا . وهو الأمر الذي لم تقدم عليه حتى إسرائيل ولا فكرت فيه .

– إغلاق معبر رفح معظم الأوقات وبدون أي سبب وفي المرات القليلة التي فتح فيها تم اختطاف عنصرين بارزين من حركة حماس سمح لهما قصد تلقي العلاج في تركيا .

– وضع كتائب القسام على لائحة الإرهاب واتهام عناصرها بالتورط في فرار مرسي ومن معه من سجن وادي النطرون . . . وقد حكم القضاء الشائخ على اثنين منهما بالإعدام غيابيا ، أما أحدهما فاستشهد في الاعتداء الاسرائيلي عام 2006 ، أما الآخر فمعتقل في السجون الإسرائيلية منذ 1969 . . .

• وأخيرا ، لم تفوت السفيرة الأمريكية الفرصة للإشادة بالتعاون الخليجي الأمريكي في هذه الأمور ما دام بعض الإخوة في الخليج . . .يدفعون ثمن الأسلحة والرشاوى والأتعاب أيضا كاش من «الروز» الذي حباهم الله به . . . فاللهم لا حسد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بنبض القلب

د: أحمد الأشهب

التجديد وسؤال الهوية

في أي عصر وفي أي مَـصْر، تبرز قضية الصراع بين الهوية والاستلاب، ويتبارى فيها فريقان كل واحد منهما يحاول أن ينتصر لرأيه وأن يبخس رأي الطرف الآخر، وفي رأيي المتواضع أن سبب الخلاف بين الطرفين هو الغبش الذي شاب القضية منذ البداية، فبدل أن نتكلم عن تطوير وتجديد أسلوبنا الحضاري وتكييفه لمواكبة التطور الإنساني تحت مظلة الموروث القيمي، أصبحنا نتكلم عن الانسلاخ الحضاري والتمرد الهوياتي... إن التجديد سنة من سنن الله الكونية، ولا يمكن لعاقل أن يقف في وجه قطار الحياة وإلا سينسحق تحت عجلاته، ولكن التجديد لا يعني بالأساس القبول بأي نسمة هبت حتى ولو كانت تحمل معها سبب موتنا واندثارنا، إن الأشجار كي تحافظ على رونقها وعطائها تجدد أوراقها من حين لآخر، لكنها تحتفظ بجذورها المنغرسة في التربة حفاظا على أصولها وحياتها، ويوم تفقد جذورها تكون قد حكمت بالفناء على نفسها، وفي هذا السياق يقول الفيلسوف الإسلامي محمد إقبال رحمه الله تعالى:

الغصن المنفصل عن الشجرة
لا يورق وإن أتى الربيع
تلك سنة الحياة
فتمسك بالشجرة
وضع أَمَلك في الربيع

إن كل المفكرين المخلصين لثقافتهم، مهما اختلفت عقائدهم ومشاربهم، يرفضون أي تطور يهدد الأمن الروحي لمجتمعاتهم، يقول شاعر الهند طاغور:

إن نوافذ بيتي مشرعة
لكل الرياح والثقافات
تتلاقح فيها بكل حرية
لكن من غير أن تقتلع
جذوري.

القضية الفلسطينية ونزاعات الشرق الأوسط على طاولة القمة العربية اللاتينية الرابعة

في ختام أعمال القمة الرابعة المنعقدة يومي 10 و11 نوفمبر الجاري بالرياض، دعا قادة الدول العربية ودول أمريكا الجنوبية إلى ضرورة تحقيق السلام العادل والشامل للقضية الفلسطينية وفقا لقرارات الشرعية الدولية ومبادرة السلام العربية الرامية لإقامة دولة فلسطين وعاصمتها القدس الشرقية على حدود سنة 1967م.

وضرورة التوصل إلى حل سلمي للأزمة السورية وفقا لما جاء في بيان جنيف1 و"مؤتمر فينا"، وأهمية إيجاد حل للأزمة اليمنية عبر تطبيق قرارات مجلس الأمن ذات الصلة وخاصة القرار 2216، ودعم عملية الحوار السياسي الجارية في ليبيا تحت رعاية الأمم المتحدة. إلى تعزيز الحوار والتعاون القائم بين الإقليمين لتطوير شراكة استراتيجية قائمة على المصلحة والاحترام المتبادل ، ومن جانب آخر أكد القادة، في بيانهم الختامي "إعلان الرياض"، على ضرورة تشجيع وحماية الاستثمارات بين دول الإقليمين، وتعزيز التواصل الثقافي والاجتماعي بينهما.

وزراء الخارجية العرب يدينون الإرهاب الإسرائيلي ويدعون لتوفير الحماية للشعب الفلسطيني

أدان مجلس جامعة الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية، الإرهاب الرسمي المنظم الذي تمارسه إسرائيل (القوة القائمة بالاحتلال) وإرهاب المستوطنين، مؤكدا أن ما يرتكبه الجيش الإسرائيلي والمستوطنون من انتهاكات جسيمة وجرائم فظيعة، من قتل ممنهج واستيطان وتهويد وتطهير عرقي مستمر، ترقى إلى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

وحمّل المجلس الحكومة الإسرائيلية المسؤولية القانونية والجنائية الكاملة عن هذه الجرائم "البشعة"، مؤكدا ضرورة العمل لتقديم مرتكبيها إلى العدالة الدولية دون إبطاء، وضرورة قيام المجتمع الدولي ممثلا في مجلس الأمن بتحمل مسؤولياته بصورة عاجلة لوقف هذه الانتهاكات، وفق قواعد القانون الدولي الإنساني وأحكام اتفاقيات جنيف الخاصة واتفاقية جنيف الرابعة.

المجلس العلمي الأعلى يصدر فتوى في موضوع الجهاد

أصدر المجلس العلمي الأعلى، فتوى جديدة، على إثر الأحداث التي وقعت في فرنسا، وقال إنها "أودت بحياة عدد من الأبرياء بدعوى الجهاد في سبيل الله"، الفتوى تبين "ما هو الحق في ذلك، ما هو من قبيل الجهاد في الإسلام حقا وما ليس كذلك، وإنما هو إرهاب وعدوان وترويع للآمنين وإزهاق لأرواحهم البريئة وهو محرم تحريما قطعيا في الإسلام".

واستشهدت الفتوى على هذا التحريم بقول الله تعالى "ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين"، وقوله سبحانه "من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا". وأوضحت أن الجهاد الشرعي أنواع، أهمها جهاد النفس بتكوينها وتهذيبها وتزكيتها وتأهيلها لتحمل المسؤولية، ويليه الجهاد بالفكر، ويكون بترويض العقل وصقله واستخدامه في ما يفيد البشرية، يضيف المجلس العلمي الأعلى، "والجهاد بالقلم، ويكون بتأليف الكتب النافعة وتحرير المقالات المنورة للفكر، ورد الشبه والتهم الملصقة زورا بالإسلام والمسلمين، ثم الجهاد بالمال ويكون بالإنفاق بسخاء في أبواب الخير والإسهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية".

وترى فتوى المجلس، أن "الجهاد بالسلاح، لا يلتجئ إليه المسلمون إلا في حالة الضرورة القصوى عندما يعتدي عليهم أعداؤهم، وتفشل كل الوسائل السلمية، فالجهاد في هذه الحالة شبيه بالكي الذي هو آخر الدواء".

وقالت الفتوى أيضا، "ومع ذلك، فإن إعلان الجهاد في هذه الحالة لا يكون إلا بأمر الإمام الأعظم، إذ هو من اختصاصه وحده، إذ أعطاه الإسلام وحده الحق في إعلانه والدعوة إليه وتنظيمه، ولم يبح لأي فرد ولا جماعة أن تقتحمه من تلقاء نفسها".

وذكر المجلس أن علماء الإسلام، ألحوا قديما وحديثا على إبراز هذا الاختصاص، صيانة لتماسك الأمة، وحماية لها من أن ينفرط عقدها، فتتنازع وتفشل وتذهب ريحها.

توسيع معهد تكوين الأئمة والمرشدات والرفع من ميزانيته

في ظل تزايد طلبات عدد من الدول الراغبة في تكوين أئمتها في المغرب، قررت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية توسيع معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات إلى جانب الرفع من الميزانية المخصصة لتسيير المعهد لاستيعاب الأعداد المتزايدة من طلبة الدول الأجنبية.

وحسب مشروع ميزانية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فإن عملية التوسعة ستتم على مساحة 10 آلاف متر مربع وتشمل بناء جناح بيداغوجي يحتوي على قاعات للتدريس والمعلوميات وسيحتضن 640 مقعدا بيداغوجيا وبناء مدرج على مساحة 2500 متر مربع ويسع حوالي 1100 مقعد وكذا بناء جناح الإقامة سيحتضن حوالي 350 سرير.

ويعتزم المعهد خلال سنة 2016 استقبال الفوج الثاني من الأئمة المنحدرين من غينيا كوناكري وكوت ديفوار والفوج الثالث من الأئمة الماليين، وبذلك ينتظر أن يصل عدد الطلبة المغاربة والأجانب الذين سيتابعون تكوينهم بالمعهد ما يقارب 1200 طالب وطالبة مقابل 741 سنة 2015.

لذلك اقترح المعهد الرفع من اعتماداته المالية إلى 125 مليون درهم برسم سنة 2016 لتغطية المصاريف اللازمة للتسيير، بعدما كانت ميزانيته لا تتجاوز 89 مليون درهم في عام 2015.

باحثون يوصون بتعظيم النص الشرعي وأخلاقيات التعامل معه

خلال ندوة دولية انعقدت بمدينة الراشدية في موضوع "النص الشرعي وإشكالية المنهج" التي نظمت بإشراف من شعبة الدراسات الإسلامية وفريق البحث في التراث الشرعي والفكري لسجلماسة وتافيلالت وامتداداته بالغرب الإسلامي حذر باحثون في العلوم الشرعية والإنسانية من محاولات إقصاء النص الشرعي وتهميشه عن واقع الحياة العامة للأمة بجعله تراثًا تاريخيًا قابلاً للنقد والمناقشة، وذلك بغاية الوصول إلى رفضه وإبعاده.

ودعا المتدخلون في الجلسات العلمية للندوة إلى إيلاء مزيد من الاهتمام بفقه النص الشرعي وفق قواعد علم أصول الفقه، ولسان العربية ودلالاتها؛ من أجل توظيفه في عموم حياة المسلمين التربوية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وناقش الباحثون الاشكالات المنهجية التي تطرحها قراءة النص الشرعي، والمقاربات المستحدثة في تناوله؛ حيث أكد المشاركون على أهمية الاستمرار في تقييم وتقويم المقاربة الحداثية في قراءة النص الشرعي وفق مدركات علمية وآليات موضوعية. ويرى المتخصصون في العلوم الشرعية والإنسانية؛ أن سداد التعامل مع النص الشرعي من أسباب وحدة الأمة وتماسكها، كما أن الانحراف عن الفهم الصحيح له من أسباب الفرقة والضعف.

وفي سبيل رفع هذه التحديات أوصى المؤتمرون بضرورة وضع برامج دراسية في المناهج التعليمية للمدارس والجامعات، تتضمن تعظيم النص الشرعي، وأخلاقيات التعامل معه، وبيان خطورة التعدي عليه، وإنشاء معجم مصطلحي للتعامل مع النص وأدواته، وذلك بإعداد طالب العلم الشرعي بمنهجية علمية واعية، مدركة للواقع معظِّمة للنص، وقادرةً على مواجهة التحديات المعاصرة.

الحكومة البريطانية تمنع بناء أكبر مسجد في لندن

منعت الحكومة البريطانية بناء مسجد كان سيعد الأكبر في العاصمة البريطانية لندن، وفق ما ذكر موقع وكالة شينخوا.ويبدو أنه وفق الخرائط المقدمة، كان من المفترض أن يكون لهذا المسجد مساحة ومقاييس وارتفاع أكبر من مبنى كاتدرائية القديس بولس للطائفة الإنجيلية.

وكان المكان المقرر لبناء هذا المسجد الكبير هو حي نيوهام في شرق لندن، ولكن المجلس البلدي لهذا الحي رفض السماح بذلك. ونتيجة لهذا الرفض، تقدم أصحاب المشروع بطلب إلى الحكومة البريطانية بشأن ذلك غير أنهم حصلوا على رفض أيضا. وكان هذا المسجد الكبير سيخصص لاستقبال 9300 مصل في القاعة الرئيسية وألفين آخرين في القاعة الإضافية للنساء، وكان سيضم مكتبة وقاعة للعشاء ومركز استقبال للزوار وثماني شقق للأئمة والمدعوين، إلى جانب ملاعب للتنس وأخرى لكرة القدم وحديقة واسعة، أي أن مساحته أكبر من مساحة كاتدرائية القديس بولس.

فوائد فاكهة الرمان

الرمان يحتوي على الفيتامينات و الحديد والكالسيوم والفوسفور مما يجعل من الرمان فاكهة مفيدة للإنسان في عدة جوانب. كما يحتوى على نسبة 84% ماء ونسبة 3% بروتين و 10% مواد سكرية و 2% ألياف غذائية و 1% ليمون.

ونظرا لكل ما ذكرناه عن فاكهة الرمان يجب علينا استغلال الرمان في خدمة صحة الإنسان، فالرمان مفيد للجسم في علاج العديد من الأمراض والوقاية من البعض الآخر كما أن الرمان مفيد للمرأة الحامل أثناء الحمل وأثناء الولادة، بالإضافة إلى أن الرمان يستخدم في تجميل البشرة وفى الحصول على جسم مثالي بعد التخلص من الكرش والبطن كما يستخدم في تجميل الشعر.

فوائد الرمان للجسم:

- عامل معالج فى خفض درجة الحرارة و تسكين الآلام.
- يعمل على علاج العيون وبعض أمراض اللثة.
- يعمل الرمان على تقليل نسبة الكوليسترول بالدم.
- يستخدم الرمان في علاج حالات الحمى الشديدة.
- علاج فعال في التخلص من الديدان من الجسم.
- يساعد في تنشيط الأعصاب.
- واقي من حصوات الكلى.
- مفيد جدا لمرضى فقر الدم.
- كما أنه مفيد لمرضى البواسير.
- يستخدم في علاج حالات الحروق والجروح والتخلص من آثار الجدري.
- الرمان بمثابة عامل واقي من أمراض هشاشة العظام.
- يحتوي الرمان علي العديد من مضادات الأكسدة التي تقي من تصلب الشرايين.
- يحتوي الرمان على الإستروجين الطبيعي والذي يقلل الضغط الشرياني.
- تناول الرمان مفيد للحامل حيث يعمل على تقوية عضلات الرحم مما يفيد فى تسهيل عملية الولادة. الإنسان من الإصابة بالجلطات و أمراض القلب.

لآلئ وأصداف

يلتقطها د. الحسن الأمراني

أرسلت إلي أديبة هندية تقول:
قال أبو مدين:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا
هم السلاطين والسادات والأمرا
هم بالتفضّل أولى وهْو شيمتهم
فلا تخف دركا منهم ولا ضررا
متى أراهم، وأنّى لي برؤيتهم
أو تسمع الأذن مني عنهم خبرا
من لي وأنّى لمثلي أن يزاحمهم
على موارد لم ألف بها كدرا
أحبّهم وأداريهم وأوثرهم
بمهجتي وخصوصا منهم نفرا
قوم كرام السجايا حيث ما جلسوا
يبْقى المكان على آثارهم عطرا
يُهدي التصوّف من أخلاقهم طُرفاً
حسن التآلف منهم راقني نظرا
هم أهل ودّي وأحبابي الذين همُ
ممن يجرّ ذيول العزّ مفتخرا
ثم الصلاة على المختار سيّدنا
محمد خير من أوفى ومن نذرا

فقلت لها: أتدرين من هو أبو مدين هذا؟ إنه أبو مدين الغوث، وهو مغربي، ابن بلدي، وهو دفين تلمسان، وهي لا تبعد عن وجدة أزيد من ستين كلم. أمّا الرجال الذين ذكرهُم فلو وجدتهم أو عرفت مكانهم لهاجرت إليهم. ولكن هيهات هيهات! أكثر ما نرى اليوم من اقتصر تصوفه على الخرقة والدروشة، إلا من رحم ربّك، أجسام بلا أرواح، هم أهل الطرق، بصيغة الجمع، لا أهل الطريقة التي قال فيها الحق سبحانه: ﴿وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾.

فقالت: حقا؟ لأول مرة أسمع عن أبي مدين! إذن هو من المغرب، ومن أرضك، جميل حقا ما سمعت منه وعنه. صدق ما قال: «أنّى بمثلهم»، ليتني تركتُ حطام الدنيا وانضممت إلى زمرة المساكين الذين لا همّ لهم سوى صدق العبادة خلّصاً لله. هل التصوف كثير في المغرب؟ قرأت بأنّ الصوفية

ساعة مع أبي مدين
(1)

بدعة، وعندهم غلوّ في الدين وبدع، ولا تصحّ موالاتهم، ولكن أشعارهم رائعة... يبقى الشعر عشقي ونفسي وإن خانتني الكلمات).

هنالك قلت في نفسي: فلأقف ساعة مع أبي مدين الغوث، أستزيد من معرفتي بهذا العالم الرباني، والمجاهد والمرابط، المدافع عن بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، عسى أن أنتفع به وينتفع به غيري.

ولعل خير من كتب عن أبي مدين هو الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود(1960 ـ 1978)، في كتابه: (شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله).

ولد أبو مدين شعيب(520 ـ 594) بالأندلس، ثم رحل إلى المغرب فاستقر به زمنا طويلا، متعلما ثم معلما، قبل أن ينتقل إلى بجاية ليستقر بها خمسة عشر عاما، وقبل أن يتوجه إلى تلمسان حيث أدركته الوفاة.

وقد نقل ابن الزيات التادلي في (التشوف إلى رجال التصوف)، بسند متصل، عن محمد بن إبراهيم الأنصاري، أحد كبار تلاميذ أبي مدين، قال: «سمعت أبا مدين يحدث ببدء أمره فقال: كنت بالأندلس يتيما، فجعلني إخوتي راعيا لهم لمواشيهم، فإذا رأيت من يصلي أو يقرأ القرآن أعجبني... فذهبت إلى البحر وعبرت إلى طنجة، ثم ذهبت إلى سبتة... ثم ذهبت إلى مراكش، فقيل لي: إن رأيت أن تتفرغ لدينك فعليك بمدينة فاس. فتوجهت إليها فلزمت جامعها... إلى أن جلست إلى شيخ ثبت كلامه في قلبي، فسألت من هو، فقيل لي أبو الحسن بن حرزهم (حرفته العامة إلى حرازم)... ثم سمعت الناس يتحدثون عن كرامات أبي يعزى، فذهبت إليه في جماعة توجهت لزيارته».

ثم لقي الشيخ عبد القادر الجيلاني يوم حجه بعرفة، فقرأ عليه بالحرم، وكان أبو مدين يعده من أكبر مشايخه. وعندما عاد من الحج، قاصدا المغرب، مر ببجاية فاستقر بها، ومكث فيها خمس عشرة سنة، ومن هنا قيل عنه: «الإمام سيدي أبو مدين الغوث الأندلسي الفاسي البجائي».

لم يكن أبو مدين من الشيوخ الذين ينقطعون عن أمور المسلمين، بحجة الانقطاع عن الناس، فقد كان شديد العناية بها، وقطع أوقافا لخدمتهم. وعندما زار بيت المقدس، عاد فاستنفر أتباعه وتلاميذه للجهاد في سبيل الله، وتحرير المسجد الأقصى من الصليبيين، وكان ذلك زمن صلاح الدين الأيوبي، وكانوا في طليعة جيشه، فشاركوا في وقعة حطين الشهيرة عام 583، وكانوا مع الجيش الذي أرسله يعقوب المنصور لنصرة الأقصى، وقد أقطعهم صلاح الدين حيا، هو المعروف بحي المغاربة. وهو الحّي الذي أمر موشي دايان بهدمه يوم سقوط القدس عام 1967.

مسجد السنة بالرباط بني في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله

إلى أن نلتقي

رحم الله المخترع الشاب عبد الله شقرون

في صمت رهيب رحل المخترع الشاب عبد الله شقرون إلى دار البقاء بعد أن خلّد اسمه مع العظماء الذين لم يكن لهم هَمٌّ إلا خدمة البلاد والعباد.

كنت أنوي الكتابة عن الفقيد رحمه الله حينما قدمت إحدى القنوات الفضائية -منذ سنوات- تقريرا مقتضبا عنه في حوالي دقيقتين، وفي الحقيقة لم أكن أعرف عنه أي شيء قبل مشاهدتي هذا التقرير، بل لم أكن أسمع عنه على الإطلاق.

أولُ ما لفت انتباهي من خلال التقرير فصاحةُ اللغة العربية التي كان يتحدث بها المرحوم وبطلاقة، مما يعني أن الحديث بالعربية والقراءة بها أمر متعود عليه دون تكلف، فاهتمامه وانشغاله بالإبداع والإنتاج والاختراع في عالم تهيمن عليه اللغة الإنجليزية، لم يمنعه من إجادة لغته الوطنية والحضارية التي هي اللغة العربية، ولم يذهب مذهب المتنطعين الجلادين لذواتهم الذين يدَّعون بأن العربية لغة صعبة أو لغة لا تتماشى والعلوم الحديثة، ويسعون جاهدين لتثبيت لغة موليير أو شكسبير.

والأمر الثاني اعتزاز الشاب -وهو في مقتبل العمر- بقِيَمه وحبه لوطنه وغيرته على أُمّته، لم يجذبه ألَقُ المادة وبريقُها إلى اللهث وراءها، ولم تجرفه خِفَّةُ الشباب وطيشه إلى الانحراف أو على الأقل إلى طلب العيش كما يعيش العديد من الشباب انتظارا لخبزة تأتي «باردة» دون مشقة أو تعب، أو قد لا تأتي على الإطلاق، ولم يدفعه حب الظهور والخوف على المستقبل إلى الهجرة واعتناق عالم الماديات رغم ما قُدّم له من عروض سخية مغرية ضخمة يسيل لها لعاب كل باحث عن الشهرة، طامع في المادة والربح اليسير.

والأمر الثالث هو النموذج الحضاري المثال الذي كان لدى الفقيد رحمه الله: إنه نموذج عباس بن فرناس الذي حلم بالطيران في وقت كان مجرد التفكير فيه يعد حمقا وجنونا. إنه نموذج ابن الهيثم العالم الموسوعي الذي حلم بإنجاز مشروع ينظم مياه النيل يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقصان، إنه الخوارزمي.. رائد علم الفلك والرياضيات في العالم، الذي كان له الفضل في استخدام العالَم للأعداد العربية التي غيرت بشكل جذري مفهوم الأعداد الذي كان سائدا قبله... نماذج ونماذج، كانت إسوة اقتدى بها الفقيد... كان هو الآخر يحلم بإعادتها إلى الواقع الراهن.

وبفضل الله وعونه ثم بجهده الخاص وإيمانه بأن تحقيق كل صعب يهون، عملا منه بالحديث المأثور الذي ختم به الفقيد رحمه الله أحد لقاءاته: «الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة»، تمكّن الفقيد رحمه الله من إنجاز الكثير، حيث عُدَّ رحمه الله وهو ابن 32 ربيعا واحدا من أبرز المخترعين الشباب، فهو أصغر مخترع مغربي وعربي ومسلم معترف به دوليا، وقد تمكن من تسجيل أزيد من 37 اختراعا، جلها تهتم بعالم المحركات والميكانيك..

والأمر الرابع هو التجاهل الذي أحيط به من كل جانب من قِبل وسائل الإعلام عندنا التي تبحث عن كل صغيرة وكبيرة -حتى عما يسيء إلى الوطن في كثير من الأحيان-، وتَرْقُب عن كثب حركات الأقدام في الملاعب، وتتعقّب رنات الأنغام في المعارض والمسارح، ولكن لا تلتفت إلى من يثقل الهمُّ بالَه والتفكيرُ ذهنَه في الرفع من شأن وطنه وبناء قيمه، ولا «تبحث» عن مثل هؤلاء المغاربة الذين رفعوا رأس المغرب عاليا بين القمم؛ لا تلتفت لذلك ولا إلى ما ماثل ذلك، وإن فعلت فقبسة عجلان، ليس أكثر.

والآن وبعد وفاته رحمه الله لم يبق لي إلا أن أؤكد هذه الانطباعات من جديد، قائلا: لقد كان ثابتُ الإيمان في كل شيء بما في ذلك الإيمان بالقضاء والقدر، وقد نُقِل أن

آخر تدويناته على «الفيسبوك» جاءَ فيها: «ربما تتأخر وظيفتك، ربما يتأخر زواجك، ربما يتأخر علاجك، ولكن لن يتأخر أجرك وبقدر صبرك يأتي فرحك و دائما تذكر إن مع العسر يسرا».

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، ورزق ذويه الصبر وضاعف لهم الأجر، ورزق الوطن والأمة الخلف فيه. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

د. عبد الرحيم الرحموني